وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنـــوان المذكـــرة:

الأنا والآخر في رواية "تلك المحبة" للحبيب السائح

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- سارة بولحبال.
- كريمة شحماط.

إشراف الأستاذ:

– مراد بوزكور.

	اسم ولقب الأستاذ (ة)	الرتبة العلمية	الصفة
1	محمد زكور	أستاذ محاضر	رئيسا
2	مراد بوزكور	أستاذ محاضر (ب)	مشرفا
3	فريد عوف	أستاذ محاضر (ب)	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قبل كل شيء نحمد الله ونشكره على جزيل فضله ونعمه، فهو الذي وفقّنا لإتمام هذا العمل.

نتوجه بخالص المحبة والعرفان إلى أستاذنا الفاضل "مراد بوزكور" شاكرين له إشرافه علينا وتأطيره هذا البحث.

ونتوجه كذلك بالشكر إلى كل من ساعدنا ولو بكلمة طيّبة أو دعاء خالص.

كما لا ننسى أساتذة قسم الآداب.

وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أهدي عملي:

أهديه إلى كل من أحبهم في الله، يتوق القلب ليخاطب من شذى بذكرهما اللسان وقال فيهما الرحمان: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

إلى أغلى ما أخذ القدر منّي، الذي لن يأتي مثله أحد، ولن يأخذ مكانه أحد، إلى روحه وذكراه التي تسكن ذاكرتي للأبد، رحمك الله وأسكنك فسيح جنانه.

أبي الغالي

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها، إلى من سهرت الليالي تنير دربي، إلى من تشاركني أفراحي وأحزاني

أمي العزيزة

إلى الذين طفرت بهم هدية من الأقدار إخوة فعرفوا معنى الأخوّة : **سفيان، عبد الرزاق.**

إلى أخواتي العزيزات: **رزيقة، مليكة، كريمة، ريمة، هاجر.**

أقدّم إهداء خاص إلى براعم العائلة: **إسلام، لينا، ضياء الدين، يسرى، ياسر، إياد، فاريهان أسيل.**

وأخصّ بالذكر صديقاتي العزيزات: **كريمة، عبير، رانية.**

أهدي لكم أجمل التحيّات وأصدق الأمنيات وجزيل الاحترامات.

سارة

إهداء

الحمد لله العلّي العظيم شكر الشاكرين ونحمده حمد الحامدين على نعمته وفضله وتوفيقه على إتمام هذا العمل.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين **أمي حبيبتي الغالية** و**أبي الغالي** حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى إخوتي وأخواتي: **نصر الدين، أيمن، بسمة.**

وإلى كل الأحبّة الذي لايسعني ذكرهم.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني في إتمام هذا البحث سواء من قريب أو بعيد.

إلى من قضيت معهم أجمل أيّام حياتي الدراسية، وعشت معهم أحلى الذكريات صديقاتي العزيزات: **هاجر، سارة، عبير.**

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

ونسأل الله أن يجعله نبراسا كل طالب علم.

كريمة

مقدمـــة

يعيش الإنسان المعاصر في عالم تتجاذبه الصراعات بين الأمم والشعوب نتيجة الاحتكاك والتفاعل الدّائم والمتواصل بين قطبين رئيسيين هما: "الأنا" و"الآخر" حيث يسعى كل منهما إلى بناء علاقات إنسانية بهدف تحقيق المصالح المشتركة وتبادل الأفكار والثقافات، وهذا ما تبحث فيه الدراسات المقارنة حيث تعمل على كشف ما هو مضمر من خلال تقصّي طبيعة تلك العلاقات كالمؤسِّسَة بين الشعوب والثقافات المختلفة وذلك عبر إقامة دراسات مقارنة بغية الكشف عن القوانين التي تحكم وتؤطّر تلك العلاقات المتشابكة.

وتعتبر قضية "الأنا "والآخر" قضية معقّدة، في العصر الحديث ويسعى كل طرف إلى إلغاء الحدود الفاصلة بينهما واختزالها وجعلها في حدود الأنا الجمعية فقط، فالآخر يسعى إلى إلغاء مقومات الأنا الصالحة، ما يجعل الأنا يشعر بفقدان هويته وخصوصيته في علاقته الجدلية مع الآخر.

تعد رواية "تلك المحبة" "للحبيب السائح" التي صدرت سنة 2016م، من الروايات التي قدّمت لنا صورة حيّة عن العلاقة الجدلية بين "الأنا" و"الآخر"، حيث نجد صورة الأنا المسلم المسالم المحافظ على هويته بواقعية وموضوعية، وما عايشه المسلمون في الصحراء الجزائرية (أدرار، توات، رقان...) والمعاناة التي لاقاها المسلمون نتيجة الظلم والاستبداد، من طرف الغازين، ونجد صورة الآخر في شخصية اليهودي الظالم، الغادر للمسلمين الذين حطّوا رحالهم في الصحراء الجزائرية، كما تجسّد لنا الرواية اليهودي المسامح للأنا المسلم.

تكمن أهمية بحثنا في كونه يسلّط الضوء على قضية مهمة من قضايا الدراسات المقارنة، وهي صورة "الأنا" و"الآخر" في الرواية العربية عامة والجزائرية على وجه الخصوص، ودائما ما تطرح في الساحة الأدبية لكونها طرفان في علاقة تبادلية حتمية، وهذه القضية كثيرا ما شغلت الدارسين والكتّاب لكونها دائمة التجدّد وذات حركية مستمرة، فهي لا تقتصر على زمان ومكان محدّدين بل امتدت على مر العصور، وستظل مادام اللقاء والصراع قائما بين الأنا والآخر.

وهناك عدّة أسباب دفعتنا لاختيار هذا الموضوع بالذات، ولعلّ من أهمّها وأبرزها:

- شغفنا الكبير في الكشف عن خبايا هذا الموضوع الشائك الأدبي والفلسفي .

-وكذا ولعنا الشديد بالرواية كجنس أدبي يعالج مختلف القضايا الاجتماعية والإنسانية والثقافية، ويستمّد مادته الأساسية من تجارب واقعية.

- وإعجابنا الشديد بأسلوب الكاتب في إنتاجاته الروائية، لذلك حاولنا تسليط الضوء على هذا العمل الروائي الجديد الذي يخرج عن النمط المألوف للكتابة الروائية، ويركّز على وجود أسلوب جديد في ميدان الفن والإبداع.

ولإنجاز هذا البحث سطّرنا مجموعة من الأهداف:

- معرفة وظيفة العلاقة التي تصل الأنا بالآخر والأسباب والعوامل التي تتحكّم في تشّكل فرع هذه العلاقة.

-معرفة أسباب توتر العلاقة بين الأنا والآخر، ومحاولة الوصول إلى نقطة توافق بين الطرفين تساعد على بناء حياة مستقرة، دون ذوبان طرف في الآخر.

ولأجل ذلك حاولنا معالجة هذه القضايا من خلال التساؤلات والإشكاليات المسطّرة كالآتي:

كيف عالجت وصوّرت رواية "تلك المحبة" العلاقة بين الأنا والآخر؟ وما الجديد الذي قدّمته هذه الرواية في هذا الإطار؟

وقد اقتضت طبيعة الموضوع منّا تتبّع المنهج الوصفي التحليلي، كونه يتلائم وطبيعة الموضوع المدروس انطلاقا من جمع للمعلومات وتنسيقها وأخذ منها ما يفيد الدراسة، بينما جاء التحليل لاستخراج تلك الثنائية وتحديد مواقعها المختلفة.

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة اتبعنا خطة بحث مكونة من: مقدمة، وفصل نظري تحت عنوان: الأنا مقابل الآخر ويندرج تحته عدة عناوين:

أولا: مفهوم الأنا والتي بدوره ينقسم إلى مفهوم الأنا لغة واصطلاحا وهذا الأخير ينقسم إلى تعريف الأنا من المنظور الفلسفي والمنظور الأدبي، والمنظور النفسي، والمنظور الاجتماعي.

ثانيا: مفهوم الآخر من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ينقسم تعريفه اصطلاحا إلى المنظور الفلسفي، المنظور الثقافي، المنظور الاجتماعي.

ثالثا: علاقة الأنا بالآخر، أمّا رابعا وأخيرا فكان بعنوان: مواقف الأنا إتجاه الآخر وينقسم إلى: الرؤية العدوانية، الرؤية الإنبهارية، الرؤية الحضارية.

أما الفصل التطبيقي فكان تحت عنوان: تمظهرات الأنا والآخر في رواية "تلك المحبة"، وتناولنا فيه أولا: ملخص الرواية.

ثانيا: تجليات الأنا في الرواية الذي قسّمناه إلى: الأنا الصوفي، الأنا الصحراوي، الأنا المسلم المسالم، الأنا العاشقة للوطن.

ثالثا: تجليات الآخر في الرواية والذي بدوره ينقسم إلى الآخر الفرنسي، الآخر اليهودي، الآخر المسيحي.

رابعا: العلاقة القائمة بين الأنا والآخر والتي تكمن في علاقة صراع وعلاقة تسامح.

وذيّلنا بحثنا بخاتمة تتضمن مختلف النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، متبوعة بملحق أوردنا فيه نبذة موجزة عن "الحبيب السائح"، وأهم أعماله.

ومن أبرز المراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة: إشكالية الأنا والآخر لـ"ماجدة حمود"، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه "لطاهر لبيب"، دليل الناقد الأدبي لـ"سعد البازغي" و"ميجان الرويلي"، الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية) في الفكر الإسرائيلي المعاصر لـ"عمر عبد العلي علام".

ومن الطبيعي أن يواجه الباحث جملة من الصعوبات أثناء رحلته العلمية، وقد صادفتنا بعض العراقيل أهمّها: -

صعوبة ضبط المفاهيم الفلسفية والنظرية لهذا الموضوع والإلمام به.

- طول الرواية التي تتكون من 312 صفحة.

-تعقّد الأحداث داخل الرواية وكذلك كثرة الشخصيات الموجودة في الرواية، وأسلوب الرواية.

وفي الأخير لا يسعنا إلى أن نتقدّم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث، كما نتقدّم بأسمى معاني الشكر والتقدير لأستاذنا المشرف "مراد بوزكور" الذي لم يبخل علينا بنصحه وإرشاده وتوجيهه.

الفصل الأول:

مفهوم الأنا والآخر

الفصل الأول: مفهوم الأنا و الآخر

تعتبر إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر من الإشكاليات المعاصرة التي شغلت اهتمام الأدباء والمفكّرين والفلاسفة والنقاد والمؤرّخين والمثقّفين العرب على حد سواء، فجعلوا منها موضوعا لإبداعاتهم الأدبية والفنية والفلسفية والنقدية وحتى التاريخية، ولا سيما إذا كان (الآخر) هو (العدّو) بحد ذاته حيث يضع (الأنا) في موقع صراع وجدل على الدوام.

أولا:مفهوم الأنا:

أ– لغة:

وردت كلمة (الأنا) في لسان العرب لابن منظور في مادة (أنن) حيث جاء فيه:« اسم مكني وهو المتكلم وحده، وإنّما يبنى على الفتح، فرقا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الأخيرة إنّما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن وسطت سقطت إلاّ في لغة رديئة، واعلم أنّه قد يوصل بها تاء الخطاب فيصيران كالشيء الواحد من غير أن تكون مضافة إليه، وقد تدخل عليها كاف التشبيه[1].

ف: أنا: للمتكلم وحده، وهي اسم مكني، وهناك فرق بينها وبين (أن) الناصبة للفعل، وقد تلحق بهاتاءالمخاطبة (أنت) ، وأيضا كاف التشبيه.

أمّا في معجم محيط المحيط، فقد وردت لفظة (أنا): ضمير رفع منفصل للمتكلّم مذكرا ومؤنّثا، مثّناه وجمعه (نحن)،الأنانة قولك أنا[2].

ف: " أنا" هنا هي: ضمير منفصل للمتكلّم، تبدأ بالمذكر والمؤنّث له مثّناه، وجمعه (نحن).

وقد وردت في المنجد في اللغة العربية « الأنا» : ضمير رفع منفصل للمتكلّمة [3].

ف :"أنا" يمثّل ضمير رفع منفصل للمتكلّم.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، المجلد الأول، ط4، لبنان، 2007م، ص 182، مادة (أنن).

[2] المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، م2009، ص 244.

[3] صبحي حموي وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مر: مأمون الحموي وآخرون، دار المشرق، ط2، لبنان، 2001م، ص 19.

أمّا في معجم اللغة العربية المعاصرة فقد وردت لفظة (أنا):

ج: نحن: ضمير رفع منفصل مبني على السكون للمتكلّم أو المتكلّمة، ألفه الأخيرة لا تكتب ولا تلفظ إلّا في الوقف أو ضرورة الشّعر، يجمع على (نحن)، ولا يثّنى ولا يقع مضافا ولا نعتا ولا منصوبا.[1].

ووردت في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي كلمة (أنا): « فيها لغتان، حذف الألف وإثباته، وأحسن من أن تثبتها في الوقوف[2].

ف:أنا : هنا لها لغتان حذف الألف وإثباتها.

ومن هذه التعريفات اللغوية المتداولة في المعاجم العربية لا يخرج (أنا) عن كونه ضميرا يعبّر عن المتكلّم.

كما جاءت لفظة (الأنا) واضحة وجلّية في القرآن الكريم، إذ نجد آيات كثيرة قد صرّحت بها بشكل مباشر، إمّا على لسان القائل عزّ وجلّ وإمّا على لسان أحد الأنبياء عليهم السلام، يقول سبحانه وتعالى:﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾[3].

وهي آية كريمة يخاطب فيها سبحانه وتعالى نبيّه الكريم، –موسى عليه السلام– مشيرا إلى ذاته الإلهية (أنا ربّك) ثم يواصل في آية أخرى في نفس السورة قائلا:﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[4].

فالمولى عزّ وجلّ يصف هذه الذات الإلهية العظيمة والتي لا مثيل لها في الوجود، فلا ذات كذاته﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[5].

[1] أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة،ج1، عالم الكتب، ط1، مصر، 2008م، ص 125-126.

[2] الخليل أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، المجلد1، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان،2003م، ص 91.

[3] سورة طه، الآية 12.

[4] سورة طه، الآية 14.

[5] سورة الإخلاص، الآية 4.

هو الواحد الأحد، وله الأعمال والنيات، والصلوات والدعوات.

وفي كلام أحد الأنبياء عليهم السلام في قوله:﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾[1].

كذلك وردت (الأنا) على لسان الملائكة في قوله عزّ وجلّ :﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩﴾[2]وفي سورة هود قوله تعالى:﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾[3].

وغالبا ما تأتي لفظة (الأنا) بصيغة الجمع في القرآن الكريم وذلك تعظيما وإجلالا للقائل عزّ وجلّ، كما نلاحظ ذلك في قوله:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[5].

وقوله أيضا:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[6]

وفي سورة النساء قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝١٠١﴾[7].

---

[1] سورة الأنعام، الآية 79.

[2] سورة مريم، الآية 19.

[3] سورة هود، الآية 70.

[4] سورة الحجر، الآية 9.

[5] سورة الكوثر، الآية 1.

[6] سورة الفتح، الآية 1.

[7] سورة التوبة، الآية 101.

إضافة إلى هذا وردت (الأنا) بصيغ أخرى، كالأنا المستجيب لرسل الله من الثقلين في صورة الحواريين الذين أعلنوا نصرهم لله في قوله عزّ وجلّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ١٤ ﴾[1].

وأيضا نجد في القرآن الكريم (الأنا) المفتر بالثراء كمثل الرجل صاحب المؤمن الذي أغراه فأنكر البعث، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ ﴾[2].

ب– اصطلاحا:

سنحاول التعرض لمفهوم (الأنا) اصطلاحا، من خلال عرض جملة من المفاهيم لدى الكتاب والنقاد والفلاسفة، وعلماء الاجتماع وعلماء النفس.

1– الأنا من المنظور الفلسفي:

يعدّ الأنا من المنظور الفلسفي من بين أولوياتها الفرد باعتباره كائنا حيوّيا له علاقات عدّة مرتبطة بالجماعة، فهو محرّك أساسي وفاعل في المجتمع، وقد اختلف تعريفه تبعا لاختلاف المذاهب الفلسفية وتعدد الرؤى الفكرية.

تشير كلمة (الأنا) إلى:« ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه، فيقول: أنا فعلت، وأنا أبصرت»[3].

[1] سورة الصف، الآية 14.

[2] سورة الكهف، الآية 34

[3] جميل صلبيا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة،د.ط، لبنان، 1982م، ص 140.

ف (الأنا) هنا: تمثّل كل اهتمامات الفرد وأفعاله المنسوبة إلى شخصيته.

الأنا هي أيضا: « الوعي بوحدة الذات التي تربط وتجمع بين حالاتها الشعورية المختلفة وأفعالها المتعاقبة في الزمان»[1].

هي أيضا « الشعور بالوجود الذاتي المستمّر والمتطوّر بالاتّصال مع العالم الخارجي والاختبارات والتثقّف، ثم بالتأمّل والاستبطان، وهذا الأنا هو مركز البواعث والأعمال التي تؤقلم الإنسان في محيطه، وتحقق رغباته، وتحل النزاعات المتولّدة عن تعارض رغباته»[2].

فالأنا هي « مركز الوجود الإنساني الذي يعبّر عن كينونته، وتحقيق رغباته، وامتلاكه لخصوصية معينة تميّزه عن الآخر».

عند المحدثين: « تعبير عن الذات الواعية، والشعور بالوجود الذاتي المستمر، وهي مركز ارتباط الإنسان بمجتمعه، وتحقيق رغباته، وقد يستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السّمة أو ذلك المكوّن من مكوّنات الشخصية، الذي يسيطر على السلوك»[3].

أي أنّها مجموعة من السّمات تتميز بها الذات من خلال التفكير والقيم وأيضا المظهر واللباس.

وقد وردت لفظة (الأنا) في المعجم الفلسفي على أنّها: « مفهوم فلسفي يدّل على ذات الأفعال المعتمدة أي الأفعال التي تأخذها الشخصية بالحسبان وتتحمل مسؤوليتها»[4].

ف "الأنا" هنا تعتمد على ذات الأفعال التي تعمل على تحمل مسؤوليتها مع أخذ الشخصية.

[1] جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب،د.ط، تونس،د.س، ص 57.
[2] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 1979م، ص 36.
[3] محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، 1999م، ص 133.
[4] مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة، ط1، الأردن، 2009م، ص 103.

وتعني أيضا أنّها« منطلق كل تفكير عميق، ففي تاريخ الفلسفة، إجمالا اعتبرت العامل الفعّال والمنظّم للإدراك والمعرفة»[1].

ف (الأنا) هنا هي: المنطلق والعامل الفعّال والمنظّم للإدراك والمعرفة.

فالمراد بـ "" (الأنا) عند الفلاسفة العرب: « الإشارة إلى النفس المدركة؛ أمّا في الفلسفة الحديثة تشير كلمة "أنا" في معناها النفسي والأخلاقي إلى الشعور الفردي والواقعي، وإلى ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه، أمّا في المعنى الوجودي فتدل على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي فهو مفارق الإحساسات والعواطف والأفكار، أمّا في المعنى المنطقي فتعني كلمة (أنا) على المدرك من حيث أنّ وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما تركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصّورات عن أحواله وجودا»[2].

فالأنا في المعنى النفسي والأخلاقي والوجودي تحمل معنى واحد الذي يدّل على حقيقة الإنسان وما يعيشه الفرد في الحياة من مشاعر وأحاسيس التي يكتسب من خلالها مجموعة من الخبرات والتجارب، أمّا في المعنى المنطقي فهي مجموعة من الإدراكات التي يتوصل إليها الإنسان من خلال وحدته وهويته ووجوده.

كما أسهمت الفلسفة الوجودية بنصيب وافر في مناقشة هذا المصطلح وحاولت ربطه بالوجود الإنساني، إذ يرى الوجوديون أنّ: « الإنسان وحده هو الذي يحوز الوجود، وهم نادرا ما يستخدمون كلمة إنسان وإنّما يدلّون عليه بتعبيرات مثل" الموجود هناك " و " الوجود" ، و" الأنا" ، و " الوجود لأجل ذاته"»[3].

(الأنا) هنا تعتمد على الوجود الإنساني فالوجوديون اعتمدوا على كلمة " إنسان" مدلولة بمجموعة من التعبيرات مثل " الموجود هناك"، و " الوجود"، و " الأنا"، و " الوجود لأجل ذاته".

[1] كميل الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، لبنان،2000م، ص 64.
[2] جميل صلبيا، المعجم الفلسفي، ص ص 139-140.
[3] سلمى بوغازي: أصول فلسفة سارتر، مكتبة المجتمع العربي، ط1، عمان، 2016م ، ص 188.

وتعني أيضا كلمة (أنا) في الفلسفة الوجودية: « وجودي أنا، أنا بالذات المتفردة»[1].

فالأنا تنطلق من السؤال عن الأنا إلى التساؤل عن الوجود.

وقد ذهب (مارتن هيدجر) (martin heidegger) إلى أنّ الإنسان لا يمكن أن يحقق وجوده إلّا حين يحقق ذاته: " إنّ عليّ أن أكون موجودا، وعليّ أن أحقق ذاتي"[2].

فشرط تحقيق الإنسان لوجوده هو تحقيق ذاته.

كما أشار (ديكارت) (dexartes) إلى الأنا من خلال الكوجيتو بقوله: « أنا أشك، وأعرف أنّي أشك، وبالتالي فأنا أفكر، وإذن فأنا موجود»[3].

فقد أكدّه حين جعل التفكير أسبق من الوجود فقال: « أنا أفكر إذن أنا موجود»[4].

فمن خلال قول ديكارت (dexcartes) جعل التفكير أسبق هنا الوجود كما جعل الفكر مرتبط بالشك والوجود، فهي تحقّق الوجود الفعلي للإنسان.

كما يصف بول ريكور (paulricoeur) الأنا بقوله: « تتسّم هوية كوجيتو- الهو- المتمركز حول نواة الأنا من خلال أفعال الشّك والإدراك والإثبات والنفي والإدارة وعدم الإرادة والتخيل والإحساس باللاتاريخية (...) إنّها هوية لا تاريخية، الأنا يقع في لجج التنوع إنّها هويته الهو الذي يفر من بدائل الديمومة والتغيّر في الزمن لأنّ هذا الكوجيتو لحظوي»[5].

ف" بول ريكور" يرى أنّ لـ (الأنا) مميزات خاصة أهمها التغير، فهي ليست ثابتة كما قلنا سابقا، بل تأخذ صوار مختلفة في اللحظة الواحدة.

---

[1] بريزة سواعدية : الأنا والآخر في مسرحيات سناء الشعلان، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015/2014، ص 23.

[2] عبد الرحمان يدوي، موسوعة الفلسفة، نقلا عن هيدجر،ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 1984م، ص 602.

[3] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، لبنان، 2002م، ص ص261-262.

[4] نجيب بلدي: ديكارت، دار المعارف، ط2، مصر، د.س، ص 200.

[5] بول ريكور، حاتم الورفلي: الهوية والسرد، دار التنوير،د.ط، تونس،2009م، ص 36.

تعبّر الأنا من المنظور الفلسفي عن الذات الفردية المكونة من مشاعر وأحاسيس كل فرد، وهناك من يرجعها إلى الذات المدركة والتصورات الواقعية، كما تدل على وجود الوجود الإنساني.

2- الأنا من المنظور الأدبي (الفني):

الأنا مصطلح شائع في الحياة اليومية وكذا العملية فهو يعتبر من الضمائر الموجودة داخل النصوص الأدبية ومن تعريفات (الأنا) أدبيا ما يلي:

الأنا هي: « شعور يبرز الذات بشكل طاغ بحيث ينشّط الفنان ضمن دائرة لا تتعدّى حدوده الشخصية»[1]

فالأنا هنا تعبّر عن الذات التي تجعل الفنان ينحصر في دائرة الحدود التي يخلقها الشخص بنفسه.

الأنا هي: « غرور يعتري الإنسان الأديب والفنان، وحب للنفس يطغى على الإنسان في دائرة نشاطه، إعجاب بما يقوم به من أعمال»[2].

فالأنا هنا هي: انخداع يستولي الإنسان من حب نفسه وإعجابه بأعماله.

وتعني أيضا كلمة (أنا) في المجال الأدبي: « أنّه لا يوصف بأنّه الضمير الأدبي الذي يبرز محققا الوعي الذاتي، ويتموضع في العمل الأدبي بضمير المتكلّم والمخاطب والغائب، وإنّما يوصف بكونه مجموعة الضمائر التي تنشد الوحدة»[3].

[1] محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، د.ط، د.ب، 2003م، ص 43.
[2] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ص 133.
[3] رضوان جنيدي، جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط1، عمان، 2015م، ص 23.

فهو يتشكّل من خلال سياق تنتمي إليه أو ترتبط به وفيه، مع مجموعة من الضمائر التي تعطي معنى لهذا (الأنا).

الأنا « تعبير يعني الذات الواعية. وقد يستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السّمة أو ذلك المكوّن من مكوّنات الشخصية الذي يسيطر بأكثر الطرق مباشرة وفورية على الفكر والسلوك، فهو (الأنا) التي تشعر وتفكر وتميّز الشخص عن الذوات الشخصية الأخرى»[1].

الأنا هي " علامة مضمرة وفي توازنها ينبني أساس الأنا الأدبية داخل النص الأدبي...، وتتجلى من خلال ثنائية الحضور والغياب في تعاقب يضمن تأسيس وحدة ضمائرية، تربط العمل ربطا يتسّق وبناءه الأدبي [2].

إذن هي الضمير الذي يعبّر عن ذات الفرد داخل سياق ما، أو في نص أدبي من خلال ارتباطه مع ضمائر أخرى، والتي تحدّد المعنى المراد منه، ويمكن أن تكون هذه الأنا ظاهرة في النص الأدبي، أو تكون غائبة مضمرة يستدّل عليها عن طريق قرائن.

الأنا عند ياسين سليماني هي: « ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيه، وبصفته آخر فهو مستقّل عن غيره، وإن كان منتجا له، وناتجا عن علاقته به»[3].

وفي هذا التعريف البسيط الخالي من التراكيب الفلسفية والنفسية، نجد أنّ (الأنا) هو المتفرّد والمستقّل بذاته عن الغير، حتى لو كانت تربطنا معه علاقة فـ " أنا" تعني ذاتي، نفسي في مقابل ذلك غير الذي اختلف عنه.

إنّ الأنا من المنظور الأدبي تعتمد على الضمائر التي تتفاعل من خلال النصوص الأدبية فقد تكون واضحة أو ظاهرة في النص الأدبي، أو تكون غائبة.

[1] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية للعمالية للطباعة والنشر، د.ط، تونس، د.س، ص 47.

[2] رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، ص24.

[3] أحمد ياسين سليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا وبالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان، ط1، سوريا، 2009م، ص 404.

3- الأنا من المنظور النفسي:

اهتم علماء النفس بالأنا، وعلى رأسهم الفيلسوف " سيغموند فرويد (sigmundfreud) الذي عرّف (الأنا) بقوله: « ذلك القسم من الهو الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيرا مباشرا بواسطة جهاز الإدراك الحسي، كما أنّه شبّه الأنا بالغريزة في الهو ويمثّل الأنا ما نسميه الحكمة وسالمة العقل على خلاف الهو الذي يحتوي على الانفعالات»[1].

وهذا يعني أنّ الأنا تؤثّر في العالم الخارجي وتعتبر وسيطا بين رغبات الإنسان وواقعة وظروفه التي يعيشها.

الأنا من المنظور النفسي هي: « ذات تدرك تصرفات الإنسان بوصفه فردا ينتمي إلى مجتمع يتفاعل معه لأنّها متصلة بعالم الواقع اتصالا مباشرا، وهي حلقة الاتصال بين النزعات الغريزية ومثيرات العالم الخارجي»[2]

فهي تعني ذلك الجزء من الشخصية الذي يعمل الفرد على حل مشكلات التي تعترضه.

فالأنا « تكون مهمّته الأساسية المحافظة على الشخصية وحياتها مما يتعرض له من أخطار، وإشباع متطلباتها بشكل لا يتعارض مع الواقع وظروفه»[3]

فالأنا تهتّم بالشخصية وتعمل على حمايتها من كالأخطار.

وينظر إلى الأنا على أنّه: « ركن يميّزه فرويد في نظريته الثانية حول الجهاز النفسي، عن الهو والأنا الأعلى»[4].

فينظر إلى الأنا على أنّه ركن يميّزه فرويد في نظريته الثانية بين الهو والأنا والأنا الأعلى.

---

[1] سيغموند فرويد، الأنا الهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4، مصر، 1982، ص ص 41-42.

[2] إبراهيم خليل الشلبي: الذات والآخر في الرواية السرية، فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2019م، ص ص 13-14.

[3] فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، ط8، لبنان، 2000م، ص432.

[4] جان لا بالنس، جان برتراندبونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى حجازي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2011م، ص 177.

يخضع الأنا من وجهة نظر الموقعية لمطالب الهو ولأوامر الأنا الأعلى، ولمتطلبات الواقع في آن، رغم أنّه يمارس دور الوسيط، أمّا من وجهة نظر الدينامية فيمثّل الأنا القطب الدفاعي للشخصية، أمّا من وجهة نظر اقتصادية، فيبدو الأنا بمثابة عامل ارتباط بين العمليات النفسية[1].

إذن يتخّذ الأنا بالنسبة إلى النظرية الأولى عن الجهاز النفسي مدى أكثر اتساعا من الوعي، أمّا بالنسبة للنظرية الثانية هو أنّ (الأنا) تمثّل العامل الدفاعي للشخصية، أمّا بالنسبة للنظرية الأخيرة فهو يقوم على عامل الارتباط.

ومن مفاهيم (الأنا) أنّه:

« تصور الإنسان الكلّي لذاته أو هي تجربة الفرد لنفسه، أو هي الوحدة الدينامية التي تؤلّف الفرد»[2].

يمكن القول إنّ الأنا هي تصوير للذات الإنسانية، وهي الوحدة التي يتكون منها الفرد.

الأنا هو « ذلك الجانب من النفس الذي يتميز نتيجة الاتصال بالعالم الخارجي، والذي يقوم بوظيفة الوقوف على الواقع، وبوظيفة قبول بعض الرغبات والمطالب التي تصدر عن الدوافع الفطرية بعد ضبطها، فالأنا يتصّف بالشعور »[3].

يذهب راينر فونك (rainer funk) إلى القول:

« أنا هو أنا، طالما أن أنا هو أنا»[4].

نفهم من هذا القول أنّ كل إنسان يعتمد على نفسه.

[1] جان لا بالنس، جان براندبونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ص 178

[2] كميل الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الاجتماعي، ص 64.

[3] يوسف خياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، د.ط، لبنان، د.س، ص 40.

[4] راينرفونك: الأنا والنحن التحليل النفسي لإنسان ما بعد الحداثة، تر: حميد لشهب، مكتبة الفكر الجديد، جدوال للنشر، ط1، لبنان، 2016م، ص 19.

الأنا عند مدرسة التحليل النفسي هو: « ذلك الجانب من النفس الذي يتميز نتيجة الاتصال بالعالم الخارجي، والذي يقوم بوظيفة الوقوف على الواقع وبوظيفة قبول بعض الرغبات والمطالب التي تصدر عن الدوافع الفطرية بعد ضبطها والانتقاء منها»[1].

ف" الأنا" هنا متصّلة بالعالم الخارجي الذي يقوم بوظيفتين وظيفة الوقوع على الواقع و وظيفة قبول هذه الرغبات التي تصدر من جوانبه النفسية.

تذهب " ماري مادلين داڤي"(marie madeleinedavy) في كتابها "معرفة الذات " إلى القول بأنّ (الأنا): « تمثّل الوحدة الشخصية مثبتة بهذا التمثيل استقلالها الذاتي. ومع ذلك فإنّ هذه (الأنا) لا تعبر إلّا عن ذات عارضة»[2].

" الأنا" هنا تمثّل الوحدة الشخصية التي تعتمد على الذات الاستقلالية، كما أنّها لا تعبر عن الذات العارضة.

في حين يعرّف جيمس (james) (الأنا) بقوله: « ذلك التيار من التفكير الذي يكون إحساس المرء بهويته الشخصية»[3]

أي أنّ التفكير هو الذي يثبت وجود هوية الشخص ودليل ذلك ماجاء في الكوجيتو الديكارتي (أنا أفكر إذن أنا موجود).

كما تعتبر (الأنا) « مجموع ما يطلق عليه الفرد ملك لي، ليس جسمه فقط بل قدراته الجسدية، ثيابه

[1] يوسف خياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص 40.

[2] ماري مادلين داڤي: معرفة الذات، تر: نسيم نصر، منشورات عويدات، ط3، لبنان، 1983م، ص 44.

[3] عمر و عبد العلي علام: الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، دار العلوم، ط1، مصر، 2005م، ص 9.

ومنزله، زوجته وأطفاله، أصدقائه، سمعته، عمله، أرضه، أجداده، يخته ورصيد في البنك»[1]

ويقصد بذلك كل ما يمتلكه الفرد سواء من الناحية المادية أو المعنوية.

كما تعرّض (روني لوكيبيR..l'écuyer) لمفهوم هذا المصطلح وعرّفه بقوله: « مجموع التنسيق للسّمات الشخصية التي يسيدها الفرد لنفسه، حيث تنظم أولى التصورات بتعمق من خلال إدراك التصورات الذاتية، ممّا يؤدّي إلى بروز إحساس عميق بالوحدة، والانسجام والثبات وديمومة في الوقت تسمح للفرد بالتعّرف على نفسه في كل الأوقات مقارنة لنفسه بالآخرين»[2].

ومن هنا فقد تناولت الدراسات النفسية مفهوم (الأنا) من خلال الجانب النفسي المرتبط بالشخص ونسبت كل الصفات والخصائص المرتبطة به.

4- الأنا من المنظور الاجتماعي:

نشأت مصطلحات جديدة في الحقول المعرفية والعلمية والاجتماعية التي لم تكن ذات أهمية من قبل، ومن بين هذه المصطلحات التي وجدت في مجال الدراسات الاجتماعية مصطلح (الأنا).، الذي ربطه الدارسون بالمجتمع والمحيط الخارجي جعلوها جزء لا يتجزّء من هذا العالم الكبير من خلال علاقة التأثير والتأثر بين الأفراد والمجتمع، حيث تعرّف بأنّها: «فرد واعي بهويته المستمرة وارتباطه بمحيطه»[3]

ومن بين المفكرين الإجتماعيين الذين اهتموا بفكرة الذات اجتماعيا نجد ويليام جيمس (w.james) الذي يقول: « عندما أفكّر أشعر دائما بنفسي أي ذاتي كلّها مزدوجة، جزء معروف، وجزء عارف، جزء موضوعي،

[1] حسينة لصقع: مفهوم الذات وعلاقته بتصورات الأمومة لدى الفتاة الجامعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع7، جانفي 2017م، ص 120.

[2] المرجع نفسه، ص 123.

[3] ميخائيل إبراهيم أسعد: شخصيتي كيف أعرّفها؟، دار الآفاق الجديدة،ط3 ،لبنان، 1987م،ص70.

وجزء سببي، وأنّ الأنا تتميز بجانبين مختلفين غير مفترقين، لأنّ تعريف (الفعل والأنا) (je) (moi) وتمييزها يؤكّد لمعنى المشترك»[1].

من هذا التعريف نجد بأنّ هناك جانبين ي الذات منقسمة إلى جانب سببي وهو (je) (الفعل) وجانب موضوعي وهو (الأنا).

كما يصف جيمس الأنا الفردية بـ « مجموع ممتلكات الفرد، ولا تقتصر فقط على جسمه وقدراته النفسية، بل أيضا على ملابسه، منزله، زوجته، وأولاده، أجداده، أصدقائه، سمعته (...)، إذن ليست الأنا إلّا تلك الأشياء التي يمتلكها الإنسان ويقسّمها إلى الأنا البشرية، الأنا الاجتماعية، الأنا الروحية»[2].

يرى جيمس أنّ الأنا هي كل ما يتعلق بالفرد أو الذات من مأكل ومشرب ومسكن وملابسه، وعلاقاته الاجتماعية التي يقسّمها إلى الأنا البشرية (الجسم، العائلة، الخ...)، والأنا الاجتماعية (معرفة الغير والصورة التي يكونها الغير عني)، والأنا الروحية وهي (الأخلاق وغيرها) .

فهو يؤكّد على فكرة مهمة في نظرته للذات وهي أنّ لا وجود للذات في الواقع دون المجتمع وتفاعلها معه، فهو أساس معرفة الذات لذاتها من خلال تأثّرها بهذا المجتمع.

ف " كولي" (cooley) قد اهتّم « بالطبيعة الاجتماعية للذات تلك الذات التي تعني عنده أي فكرة أو نسق من الأفكار ترتبط باتجاهات ملائمة نسمّيها الشعور بالذات»[3].

ومن جهة أخرى يرى " كولي" أنّ « الذات تتأسّس أو تبنى على الدافع المتعلّق بالشعور بالذات»[4].

ومعنى هذا أنّ الذات عند كولي تنمو داخل سياق العلاقات الاجتماعية من خلال تكيّف الخبرة الاجتماعية داخل الجماعات الأوّلية، والتي تكون دائمة في حياة الفرد، فالذات و الآخر لا يتحققان كوقائع منفصلة بل

[1] وينفرد هوبر: مدخل إلى سيكولوجية الشخصية، تر: مصطفى عشوي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، بلجيكا، 1995م، ص 72.
[2] المرجع نفسه، ص 72.
[3] محمد فتحي مفرج الزليتيني: أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية ودوافع الإنجاز الدراسية ، دار قباءالحديثة، د.ط، د.ب، 2008م، ص 101.
[4] المرجع نفسه، ص 101.

العكس، وهو أيضا صاحب مصطلح " الذات العاكسة الذي استعمله ليصف به كيف نكوّن انطباعا على أنفسنا من خلال الآخرين"[1].

بمعنى أنّ الذات تعرّف نفسها من خلال استجابات الآخرين لها والتأثير فيها والتأثّر بها من جهة أخرى.

كما نجد من جهة أخرى العالمة الاجتماعية " ميد مرغريت" (medmargaret) قد أسهمت بآرائها في تأسيس وسنّ مفهوم اجتماعي آخر لـ (الأنا) بحيث تقول: « بأنّ النفس عبارة عن شيء مدرك، وترى أنّ الشخص يستجيب لنفسه لشعور معين ولاتجاهات معينة مثلما يستجيبون الآخرون له، وترى أنّ الفرد لا يمتلك ذات واحدة تكون في كل الأحوال، وإنّما للفرد عدة ذوات بحسب الأدوار الاجتماعية»[2].

فقد جعلت تشكّل (الأنا) ونموّها مرتبط بالدور الذي تؤديه داخل الوسط الذي تعيش فيه، متأثّرة به من جهة ومؤثّرة فيه من جهة أخرى.

ويصف " ميد هربرت" (meadherbert) مرحلتين عامتين في نمو الذات، وأنّكل ذات تمر بها وهما كالتالي:« مرحلة اللعب الفردي ومرحلة اللعب الجماعي، وقد أطلق " ميد" على الجماعة ككل مصطلح الآخر العام»[3].

الذي يعتبره أساسيا في نشأة الذات من خلال احتكاكها بالجماعة أو (الآخر) العام كما عبر عنه، ويرى أن الذات تصبح كاملة عندما يتعلم الفرد قواعد المجتمع.

ومن جهة أخرى يقسّم "ميد" « الذات إلى الفاعل (الأنا الداخلي) و المفعول (الأنا الخارجي) والأنا الفاعل هي الجزء الإيجابي من الذات،أمّا المفعول فهو الجزء السّلبي أي هو الجزء الذي يؤثّر فيه الآخرون»[4].

---

[1] مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، د.ط، د.ب، د.س، ص 58.

[2] عبد العزيز حنان : نمط التفكير وعلاقته بتقدير الذات الذات، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم النفس، بشلاغم يحي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012م، ص 11.

[3] مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، ص 57.

[4] مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، ص 58.

وهذا المخطط يوضّح التفاعلية الرمزية عن التنشأة الاجتماعية (للأنا) عند "ميد":

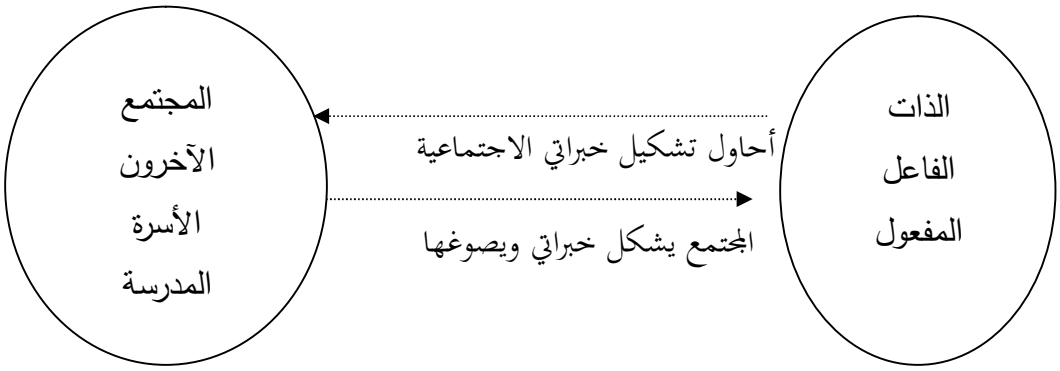

فهو يرى أنّ الفرد عندما يصبح واعيا بالجزء السلبي من ذاته– أي المفعول– يكون عندئذ قادر أن يؤثّر في نفسه بالتحكّم فيها، وهنا يصبح الفرد عند "ميد" موضوعا لذاته، كما أنّ "ميد" أكّد على أنّ (الأنا) يمكن أن تتحكّم في الذات أو توجهها لا إلى الانصياع فحسب، بل إلى التصرف باستقلالية وفي هذا يقول: « الأنا تعطي الإحساس بالحرية والمبادأة»[1].

فالأنا أو الذات الفردية لها الحرية الكاملة في التصرف.

في ظل تأمّلنا لتلك المفاهيم نجد أنّ الأنا ذات طبيعة اجتماعية حيث أنّها تبرز من خلال التفاعل مع المجتمع والتأثير فيه والتأثّر به، باعتبار أنّ الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وهذا يتجلى من خلال سلوك الذات داخل المجتمع، وبالتالي فالأنا مكتسبة وليست فطرية لأنّ الإنسان يولد صفحة بيضاء، والمجتمع هو الذي يتكفل برسم ما يشاء من الخطوط عليها.

ثانيا: مفهوم الآخر:

يعدّ مفهوم الآخر أكثر المفاهيم حضورا في الكتابات المعاصرة، حيث أصبح قضية في جلّ الدراسات الثقافية، والفلسفية والاجتماعية، والمؤتمرات والملتقيات في معظم مناطق العالم على حد سواء. فالآخر يمتلك

[1] مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، ص 59.

خصوصيات وسمات تبرز ماهيته، كما يمتلك مجموعة من الإنجازات والمكاسب نحن بحاجة إليه لتطوير راهننا ولا نمر عبر تدميره وسنتطرّق إلى تعريفه لغة واصطلاحا عبر مجموعة من المفاهيم.

أ– لغة:

إذا نظرنا إلى تعريف " الآخر" في المعاجم الغوية القديمة مثل معجم لسان العرب لابن منظور، نجد قوله « غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر»[1].

فهو يدّل على الغيرية.

وفي معجم الصحاح يقصد بها « أحد الشيئين، وهو اسم على أفعل، والأنثى أخرى إلى أنّفيه معنى الصفة لأنّ أفعل من كذا لا يكون إلّا في الصفة »[2].

وقد وردت كلمة (آخر) في قاموس المحيط بمعنى " غير"، ج: بالواو والنون[3]

كما جاءت في المنجد في اللغة العربية المعاصرة على أنّها: « أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد»[4].

وفي "المعجم الوسيط " يتكرر معناه السابق بكونه « أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد أو بمعنى الغير»[5].

ومن خلال هذه التعريفات يبيّن لنا بأنّ الآخر هو المقابل لأنا وأنّ هناك اتفاقا بين المعاجم حول المفهوم اللغوي " للأخر" الذي يعني إمّا: أحد الشيئين أو الغير.

[1] ابن منظور، مصدر سابق، مادة (آخر)، ص 64.

[2] أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، د.ط، مصر، 2009م، ص 29.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، د.ط، مصر، 2008م، ص 41.

[4] صبحي حموي، وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 8.

[5] إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، د.ط، مصر، د.س، ص 8.

كما وردت لفظة (الآخر) في القرآن الكريم بصيغة فعل في عدّة مواضع بالقرآن الكريم، منها قوله تعالى:﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾[2].

ودلّت كلمة (آخر) على خلق الله للإنسان في رحم أمه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[3].

كما استخدم المولى عزّ وجلّ في قصة لأحسن القصص أثناء حديثه عن صاحبي يوسف في السجن وتأويله لرؤياهما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾[4].

وقال أيضا:﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾[5].

أيضا جاءت قصة قابيل وهابيل فقال عزّ وجلّ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾[6].

---

[1] سورة القيامة، الآية 13.

[2] سورة الانفطار، الآية 5.

[3] سورة المؤمنون، الآية 14.

[4] سورة يوسف، الآية 36.

[5] سورة يوسف، الآية 41.

[6] سورة المائدة، الآية 28.

كما ترد كلمة (آخر) بمعنى النظير السيني انطلاقا من أنّ كل شيء مخلوق ينقسم إلى زوجين وأنّ الآخر هو شاكلة الأوّل، حيث تجمعهما صفة المشاكلة والأزواج، وليس التغاير المطلق من ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[1]

وقد وردت لفظة (آخر) في القرآن الكريم لبيان أنّ بعض البشر وقعوا في الشرك فنهى عنه الله عزّ وجل وبيّن عاقبته، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[2]وقال أيضا:

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3].

كما وردت لفظة (آخر) بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ ﴾[4].

ففي هذه الآية الكريمة تبيان لما قاله الكافرون بالله بأنّ القرآن الكريم كذب وبهتان اختلقه النبي- صلى الله عليه وسلم- وأنّ ذلك حدث بمساعدة أناس آخرين ساعدوه في ذلك وأنّهم قد ارتكبوا ظلما كبيرا وزورا شنيعا لأنّ القرآن الكريم ليس بإمكان بشر أن يخترقه.

ب- اصطلاحا:

يشكّل مفهوم الآخر عنوانا لموضوعات ثقافية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فلسفية، وكثيرا ما نوقش وعولج في المؤتمرات والمجلات والكتب.

[1] سورة ص، الآية 58.
[2] سورة الشعراء، الآية 213.
[3] سورة الحجر، الآية 96
[4] سورة الفرقان، الآية 04

1- الآخر من المنظور الفلسفي:

اختلفت رؤى الفلسفة والمفكّرين حول «مفهوم الآخر»، تبعا لاختلاف التيارات الفلسفية والمذاهب الفكرية.

يرى إبراهيم خليل الشبلي أنّ « الآخر- حال تعيّنه في ذوات إنسيه أخرى- لا يعدو أن يكون أنا أخرى تروم إنجاز مهام مماثلة، أمّا الآخر بوصفه متحققا في العالم الطبيعي، فإنّه من جهته يمارس سطوة غير نواميسه الكونية، في حين تمارس عليه- من قبل ذوات البشر- طقوس الإدراك المعرفي التي تتخّذ عادة مطية للتسخير بدلالته التقنية المتعارف عليها»[1].

ف الآخر هنا: يتعيّن من خلال الذات الإنسانية الأخرى التي لا يمكن أن يتعدى إلى أنا أخرى تقوم بإنجاز نفس المهام، في حين تمارس عليه من قبل الذات البشرية قوانين الإدراك المعرفي.

كما يرى صلاح صالح في كتابه« سرد الآخر» أنّ (الآخر) هو: « الكلّية المزدوجة للكينونة الذاتية في علاقة الذات بالذات، ولا تنتهي إلّا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان فالفرد يمكن أن يتحول إلى آخر بعد مدة قصيرة أيضا وكل شخص هو آخر بالنسبة لأيّ شخص على وجه الأرض»[2].

إذا شكل الآخر غير ثابت ففي كل مرة يأخذ شكلا آخرا غير شكله السابق فيمكن أن يكون آخر حتّى بالنسبة لذاته في بعض الأحيان لكن في مدة قصيرة جدا فالآخر هو غير الذات أي كل ما هو غير الذات فهو آخر بالضرورة.

وعرّف مراد وهبة (الآخر) بأنّه « أحد تصورات الفكر الأساسية ويزداد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز»[3].

---

[1] إبراهيم خليل الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، ص 16.

[2] صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003م، ص 10.

[3] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، د.ط، مصر، 2007م، ص ص449،450 .

وهذا يعني أنّ(الآخر) نابع عن تصورات الفكر، وهو شخص مختلف ومتمايز عن الأنا.

يعرّف محمود رجب في كتابه " فلسفة المرأة" الآخر هو: « عبارة عن مقوم جوهري من مقومات الذات، من حيث أنّها لا تكون كذلك إلّا من خلال (الآخر) بمعنى أنّني لكي أكون موجودا بوصفي (أنا) يجب أن أجد (آخر)»[1].

يعني أنّ لا وجود للأنا إلّا من خلال الآخر، فمعرفة الذات (الأنا) منحصرة على معرفة الآخر.

وقد اختلف الفلاسفة في كون (الآخر) ضرورة لتحديد (الأنا) أصلا، فهناك من يرى أنّ (الآخر) غير ضروري بالنسبة (للأنا) كما ذهب الفيلسوف (ديكارت descartes)، وهناك من يرى أنّ (الأنا) لا تتحدد إلّا بمقارنتها (بالآخر) من أمثال الفيلسوف الألماني (هيجل higuel) والفرنسي (سارتر sartar) : «ولا شك أنّ مفهوم الآخر يتأسّس على مفهوم الجوهر، أي أنّثمّة سمة أساسية جوهرية تحدّد الذات ممّا يجعل الآخر مختلفا عنها وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها»[2].

ومن بين الآراء التي قدمت من طرق بعض الفلاسفة والمفكرين في مفهوم (الآخر) وعلاقته (بالأنا) نجد: (ليفيناسlivinas) الذي يقول: «إنّي أمنح الأولية للآخر، وعن وجودي مسخّر له (...) وفيما بالعلاقة مع الآخر فإنّي أحيل دائما إلى قول (دوستوفسكيdoustouveski) في كتابه الإخوة (كارامازوفkaramazouf): " إنّنا جميعا مسؤولون عن كل شيء وأنا في ذلك لأكثر من غيري»[3].

فهو بذلك يمنح الأولوية للآخر أي أنّنا، ندرك ذواتنا باحتكاكنا بالآخر وتعايشنا معه، أي أنّ الأنا لا تستطيع العيش بمنأى عن الآخر.

[1] محمود رجب: فلسفة المرأة، دار المعارف، ط1، مصر، 1994م، ص 203.

[2] سعد البازغي: ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002م، ص 22.

[3] جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص 319.

أمّا (سارتر sartar) فالآخر عنده « هو الأنا الذي ليس إيّاي، فنحن ندرك هنا إذن سلبا بوصفه مكوّنة لوجود الغير»[1].

فالآخر هنا من ليس إيّاي ومن لست أنا إياه، وليس هنا تشير إلى العدم بوصفه عنصر فصل معطى بين الغير وبين نفسي.

وأيضا سارتر يقول أنّ الآخر عنده: « عامل فعّال في تكوين الذات، إذ يرى أنّ وعي الذات الوجودي يكون بناءا على الطرف الآخر، بل ينطوي عداء يدمّر إنسانيتنا، لأنّه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لحظتي ما كان وما سيأتي وهذا بسبب الآخر الذي يمنع تماما حرية الاختيار، لذلك اختتم سارتر مسرحيته "لا مخرج" بمقولته المشهورة "الآخرون هم الجحيم" »[2]

فهو يعتبر (الآخر) عدّو للذات لأنّه حسب رأيه يقيّدها ويجبرها على أشياء ولا يترك لها الحرية للاختيار، من هنا نستنتج أنّ (الآخر): « يختلف بالاختلاف زاوية التعاطي معه، فضلا على أنّه يمثّل موضوعا بالنسبة إلى الذات، لأنّني لا أستطيع أن أكون موضوعا بالنسبة إلى نفسي، كما أنّ الآخر لا يمكنه أن يكون موضوعا بالنسبة إلى نفسه،لذا فإنّه يشكّل مرحلة مهّمة من مراحل تطور الذات »[3].

نجد من وجهة نظر (ميشال فوكو foucault michel) الآخر: « متعلق بالذات تعليقا لا فكاك منه، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، لكن فوكو على عكس سارتر، يرى أنّ الذات في استبعادها الآخر، إنّما تستبعد وتقصي الإنسان نفسه فالآخر بالنسبة إلى فوكو هو " الهواية أو الفضاء المحدود، الذي يتشكّل

[1] جان بول سارتر: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الآداب، ط1، لبنان، 1966م، ص 393.
[2] سعد اليازغي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص ص 21-22.
[3] إبراهيم خليل الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، ص 16.

فيه الخطاب والآخر في صورة الموت ضمن الجسد الإنساني أصبح كما يرى فوكو مركز الحقل المعرفي في القرن التاسع عشر»[1].

إنّ الآخر عند فوكو هو: « اللّامفكر في الفكر نفسه أو هو الهامشي الذي يستبعده المركز»[2].

حيث أنّ كل شخص في الوجود يجعل اهتمامه منصب بأناه مستبعدا الآخر رغم أنّه ضروري.

الآخر عند (أرسطوaristoue): « المستبعد هو الغريب»[3] فالآخر هنا هو المستبعد أو الغريب.

إنّ الآخر من المنظور الفلسفي اكتسب أبعاد متنوعة يمكن حصرها في المماثلة أو الاختلاف، كما أنّه يمثّل الغير أي الأنا الذي ليس أنا، حيث أنّ الآخر أعّم من الغير.

2- الآخر من المنظور الثقافي:

مع تطور مجالات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي أصبح مفهوم (الآخر) أكثر المفاهيم حضورا في الدراسات الثقافية في معظم مناطق العالم على حد سواء.

فالآخر حسب ما قيل في تاريخ الاستشراق هو: «التكوين الثقافي و الجغرافي والإنساني عموما المغاير للغرب والمسّمى الشرق»[4].

ومن هذا التعريف يفهم بأنّ الآخر يعكس الحياة الثقافية والجغرافية للحضارة الغربية المقابلة للحضارة الشرقية.

الآخر «كل ما هو (غيري) أي ما هو خارج نطاق الذات»[5].

ف"الآخر" هنا بمعنى الغيرية أو ما هو خارج عن الذات.

---

[1] سعد البازغي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص 22.

[2] سعد البازغي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص 22.

[3] الطاهر لبيب: صورة العربي ناظرا ومتطورا إليه، دراسات الوحدة،ط1،لبنان، 1999م، ص 54.

[4] سعد البازغي: الاختلاف الثاقفي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2008م، ص 34.

[5] سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العليمة، د.ط، لبنان، 1971م، ص 9.

ومن تعريفات الآخر أيضا هو« المختلف في الجنس أو الإنتماء الدّيني أو الفكري أو العرقي»[1].

فالآخر هو ما يختلف عن الأنا سواء في انتمائه الدّيني أو الفكري أو حتى من ناحية عرقه.

ويرى سعد البازغي في كتابه " دليل الناقد الأدبي" أنّ (الآخر) في أبسط صوره هو: «مثيل أو نقيض الذات أو الأنا، وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الاستعماري وكل ما يستثمر أطروحاتها مثل النقد النسوي والدراسات الثقافية والاستشراق»[2].

الآخر هو مثيل الذات (الأنا) وقد كان موضوعا شائعا في الدراسات النقدية في المرحلة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية.

ومن بين الذين عرّفوا الآخر "حسن شحاتة" بقوله: « ذلك الغير الذي يختلف عن الذات ويتميز عنها»[3].

وهذا يعني أنّ الآخر هو المختلف عن الذات.

يعرّف "سعد البازعي" في كتابه "مقاربة الآخر مقارنات أدبية" الآخر بأنّه« حضور يحتد فيه شعور الذات بذاتها وتزداد رغبتها بالاكتمال عبر الامتزاج به أو بما يرمز إليه»[4].

معنى هذا أنّ (الآخر) يقف أمام الذات عبر حضور الشعور الذي يمتزج ويكتمل بواسطته.

« الآخر باعتباره اختلافا ثقافيا يشكّل جزءا من نظرتنا للذات سواء تقدّم إلينا بوصفه شريكا متساويا أو في هيئة غاز، أو تاجر أو مبشر، أو باعتباره كيانا متغطرسا أو مهدئا، فالآخر حال في المجال الوجودي للهوية، إنّه يمثّل وبشكل مفارق موضوع الإغراء ومنبعا للحيطة والحذر»[5].

---

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 2013م، ص 17.

[2] ميجانالرويلي،سعدالبازغي: دليل الناقد الأدبي، ص 21.

[3] حسن شحاتة: الذات والآخر في الشرق والغرب، دار العالم العربي، ط1، مصر، 2007م، ص 17.

[4] سعد البازعي: مقاربة الآخر مقارنات أدبية، دار الشروق، ط1، مصر، 1999م، ص 12

[5] محمد نور الدين أفاية: الغرب في المتخيل العربي، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، د.ب، 1996م، ص 12.

فالآخر يمثّل جزء من الذات سواء بوصفه شريكا مساويا، أو في هيئة غاز، أو تاجر...، فهو يمثّل موضوعا لأخذ الحيطة والحذر.

وقد يرتبط مفهوم الآخر دائما بمفاهيم مجاورة، خاصة في الدراسات الفكرية والنقدية أبرزها: الأنا، الاختلاف، الثقافة، الحضارة، الاستشراق، العرقية، الأقلّيات، المركز، الهامش، الخطاب، الهوية، فالآخر أو الآخرين هم « فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلّا في ضوء مرجع هو (الأنا)، فإذا حدّدنا هوية الأنا كان الآخر فردا أو جماعة يحكم علاقته بالأنا عامل التمايز وهو تمايز إطار الهوية أحيانا والإجراء في أحيان أخرى»[1].

إذن لا وجود لآخر دون وجود الأنا، فلا بد من توفر شروط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما فكلاهما يحدّد غيره ويحيل إليه، فبمجرد قول عبارة صورة الآخر يتبادر مباشرة إلى الأذهان مفهوم الذات أو الأنا.

إنّ ظاهرة الآخر ظاهرة متجذرة في الوجود الإنساني والعلاقة مع الآخر بمعناها العامّة، هي علاقة مع الوجود الذي يمثّل الإنسان جزءا منه، شاء ذلك أم أبى، وطبيعة هذه العلاقة هي التي تحدّد هوية الإنسان وموقعه من الكون ودوره فيه، ومع تطور مجالات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي أصبح مفهوم الآخر من أكثر المفاهيم حضورا في الدراسات الثقافية والسياسية والفكرية، في معظم مناطق العالم على حد سواء[2].

فالآخر لدينا هو كل ما يتم التعامل والتفاعل معه ويتخّذ منه موقفا سلبا أو إيجابا في إطار هذا التفاعل.

إنّ مصطلح (الآخر) كان حاضرا في معظم الدراسات الثقافية فهو كان ينخرط ضمن البحوث المتخصصة في الحديث عن التواصل الذي يقوم بين طرفين يكون فيه الطرف الثاني آخرا للطرف الأول حتى لو كان ينتميان لمجتمع واحد ونسق ثقافي واحد.

[1] طارق زياد محمد: تعدد مفهوم الآخرين في الدراسات الثقافية؛ قضايا الأدب، جامعة البويرة، المجلد 5، العدد2، 2020م، ص 235.

[2] ينظر الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص 377، 378، 379.

3- الآخر من المنظور الاجتماعي:

يعدّ مصطلح الآخر مفهوما في دراسة الحياة الاجتماعية، يتّم من خلاله تعريف العلاقات ونواجه نوعين متميزين من الآخرين فيما يتعلق بأنفسنا.

الآخرهو «عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد أو جماعة ما إلى الآخرين»[1].

فالآخر هو مجموعة من الصفات الاجتماعية والنفسية و السلوكية التي قد تنسب إلى الآخرين من طرف الفرد أو الجماعة.

يقول شاكر عبد الحميد: «الآخر قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمّة من الأمم، فالآخر قد يكون قريبا، وقد يكون بعيدا، وقد يكون صديقا وقد يكون عدّوا، وقد يكون عدّوا نفكر في أنسب الوسائل التعامل معه»[2].

أي أنّ الآخر قد يكون فردا أو جماعة أو أمة، أو قريب أو بعيد، صديقا أو عدوا.

الآخر هو« ما يروغ من شعورنا وتعرفنا، وهو ما يمكن عن ثقافتنا وجماعتنا، فهو اللاذاتواللانحن»[3].

فالآخر يولد من شعورنا وإحساسنا بثقافتنا وجماعتنا.

يقترح (تودوروف todorov) تصنيف للعلاقات مع الآخرين إذ يبني هذا التصنيف على ثلاثة محاور، أوّلا، حكم قيمة (على الصعيد الأخلاقي) الآخر جيّد أو سيّء، أحبّه أوّلاأحبّه هناك. ثانيا: فعل التقرب أو الابتعاد بالنسبة للآخر (على الصعيد العملي): أتقبّل قيم الآخر وأندمج معه، أو أجعل الآخر تمثّلني وأفرض عليه صورتي الخاصة بين الخضوع للآخر، ويوجد تعبير ثالث: الذي هو الحياد أو عدم الاهتمام، أتعرّف إلى هوية

[1] عمرو عبد العلي علام : الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية)، ص 12.

[2] المرجع نفسه (نقلا عن شاكر عبد الحميد: الذات والآخر في عملية الإبداع)، ص 12.

[3] محمد رضا زائري: الذات والغير بين المفهوم الكلي والمفاهيم الفرعية، الاستغراب، د.ط، د.ب،2018م، ص 350.

الآخر، أو أتجاهلها (وهذا على الصعيد العملي البحثي) ومن الواضح أنّه لا يوجد هنا أي مطلق ولكن يوجد تدّرج لا نائي بين حالات المعرفة البسيطة والأكثر عمقا[1].

وهذا يعني أنّه لا وجود للأنا بمعزل عن الآخر إلّا نادرا حيث الأنا يتشكّل ويتكوّن من خلال تشابكات العلاقات داخل المجتمع فالأنا لا يحقّق ذاته إلّا من خلال تواجد الآخر، والانسجام معه من خلال نستنتج تلك العلاقات معه، وبها يتحقّق التكامل الاجتماعي، وسوف نتحدث عن مفهوم (النحن) وبالتالي فإذا « استطعنا أن نتصوّر الأنا قوة من بين هذه القوى التي توجد في مجال سلوكنا فيمكن تصوّر النحن قوّة من بين القوى تضّم الأنا بحيث يصبح جزءا من الكلّ ولا يقوم كقوّة مستقّلة»[2].

إذن الآخر من المنظور الاجتماعي يرتبط بالأنا حيث تربطه علاقة وطيدة، علاقة تكافئ وتلازم وترابطهما بهذا الشكل حتمي وضروري وإلّا فلا معنى لهذا العلم.

ثالثا: علاقة الأنا بالآخر:

تعدّ طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر محل اهتمام ودراسة في مجال الدراسات المقارنة والصورة، وما تثيره هذه العلاقة من إشكاليات عدّة، ولقد انطلقت هذه الثنائية من الإنسان ومحيطه الذي عادة ما ينظر للآخر (المختلف) نظرة النقيض والخصم والعدو...

إنّ الذات تتشكّل ويعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر، وإنّ استجابة الآخر هو ما يساعد على تكوين الذات والتعرف على الآخر مرّة أخرى، وحتى يتمكّن من الرد سواء بالقبول أو الرفض . فرغبة الإنسان مرتبطة برغبة الآخر، لأنّ الآخر يمسك مفتاح الموضوع المرغوب فيه[3].

[1] عبد القادر شارشار : كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الخلدونية، العدد التجريبي، نشر ابن خلدون، تلمسان، 2005، ص 148.
[2] مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المصارف، د.ط، مصر، 1959، ص 139.
[3] عبد المقصود عبد الكريم: جاك لاكان وإغواء التحليل لنفسي، دار المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، د.ب، 1999م، ص 98.

من خلال هذا القول نرى أنّ الذات ترتبط ارتباطا وثيقا بالآخر، فلا وجود لذات دون وجود الآخر، فالآخر هو الركيزة الأساسية في تكوين الذات الإنسانية، فالإدراك الحقيقي للأنا مرتبط بالاختلاف مع الآخر.

من أوجه علاقة الأنا بالآخر علاقة الاتصال والتعارف والتقارب، ففي الفكر الإسلامي يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1].

فالمقصود بقول الله تعالى أنّ الله أغلى كل الحواجز اللونية، القبلية العرقية، اللغوية، الجغرافية، بين الأنا والآخر، وأمر عباده بالاتصال والتعّرف فيما بينهم لأنّ هذا يعود عليهم بالمنفعة والفائدة لوحدة الأصل البشري.

وطرحت علاقة الذات بالآخر نفسها بوصفها إشكالية مركزية في العلاقات الحضارية خاصة بين الشرق والغرب، وأثارت صراعا وجدلا بين الشرق (الأنا) والغرب (الآخر)،وهذه العلاقة القديمة بين الحضارات قامت على أساس الصراع، وإنّ الحسم في تلك القضية لا يتم إلّا بانتصار الآخر (الغرب)، الذي يقوم بإخضاع الأنا بشتّى الوسائل والطرق، وهذا من شأنه أن يترك ويرسخ في سلوك (الأنا) صورة سلبية ومشوهة عن (الآخر) وهكذا بقى الصراع بين الأنا والآخر قائما على مبدأ الهزيمة أو النصر[2].

ويلاحظ أيضا أنّ طبيعة العلاقة القائمة بين الشرق (الأنا) و الغرب (الآخر) هي علاقة صراع وتوتر بين الحضارات، فالآخر من خلال موقفه وصراعه مع الأنا يترك صورة سلبية مشوهة عنه.

إنّ الاختلافات الثقافية، والقيم والمعتقدات الاجتماعية و اختلاف المفاهيم بين الشرق والغرب (من دين ولغة وثقافة...) ،واختلاف الفضاء الاجتماعي الذي لعب دورا مهّما في تغيير المشاعر والانطباعات وردود الأفعال[3].

---

[1] سورة الحجرات، الآية 13.

[2] إبراهيم خليل الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، ص 32.

[3] المرجع نفسه،ص ص 32-33.

نلاحظ أنّ هذه الاختلافات أدّت إلى الصراع بين الشرق والغرب فكلاهما مختلف عن الآخر، فكل واحد منهما يمثّل نفسه وعرفه ومجتمعه وحياته وبلده.

وهناك علاقة (شرطية) و (جدلية) في آن واحد بين الذات والآخر وهي علاقة معقّدة، حيث يصبح الآخر شرطا لتحرر الذات من (ذات عمياء) لا ترى إلّا نفسها، وفي الوقت نفسه فإنّ تصور الذات من حدودها وخروجها للآخر، يعني التجديد بإدراك نقاط القوة لدى الآخر، والتي تعني نقاط الضعف لدى الذات، وهذا يعني تحقّق البعد الجدلي في العلاقة[1].

من خلال هذا القول يتضّح أنّ طبيعة العلاقة بين الذات والآخر هي علاقة جدلية وشرطية في آن واحد. فالآخر هو الشرط الأساسي لتحرر الذات من نفسها وحدودها وخروجها للآخر.

وترتبط الأنا بعلاقة اختلاف سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء مع "أن" أخرى، تكون هذه الأخيرة الآخر، اختلاف الظروف والأحداث التي يمليها الواقع عليهما لهدف وانتماء كل منهما، وهي غالبا ما تكون علاقة تعارض واختلاف، والأنا لا تشعر بوجودها إلّا بوجود الآخر[2].

فجوهر علاقة الأنا بالآخر هي علاقة اختلاف وتعارض، سواء كان هذا الاختلاف في الجنس (ذكر أو أنثى) أو الفكر أو الإنتماء أو اختلاف الظروف والأحداث التي مرّ بها.

ومن أوجه العلاقات بين الأنا والآخر تلك العلاقة المباشرة بين (الأنا) و (الآخر)، فقد يكون الآخر قريبا أو صديقا أو عدّوا أو أمّة أو دولة[3].

هناك علاقة جدلية بين الأنا والآخر وهي جدلية عمقها وكذلك توترها تاريخيا واجتماعيا وحضاريا....

[1] آلان تورين: نقد الحداثة، تر: عبد السالم الطويل، إفريقيا الشرق، د.ط، المغرب، 2010م، ص 19.

[2] عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر المعاصر، ص 18.

[3] عمرو عبد العلي علام: الأنا و الآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية) في الفكر المعاصر، ص 18.

ترى الباحثة التونسية " أسماء العريف بياتريكس" أنّ «الآخر كجزء من الذات»[1] وترى أيضا أنّ: «نفي الآخر بتر الذات، بمعنى أنّ قطع لجزء منها من الذات، هذا رغم أنّه ضروري لاكتشافها إذ تصوّر الذات لا ينفصل عن تصوّر الآخر»[2] .

يرى الطاهر لبيب أنّ الباحثة " أسماء العريف بياتريكس وتوضّح لنا أنّ الآخر جزء لا يتجزأ أولا ينفصل عن الذات لأنّه مرتبط بالذات، وهو جزء منها، ولا يمكن التفريق بين الذات والآخر.

وذهب الناقد محمد رجب إلى اعتبار العلاقة بين الأنا والآخر، علاقة وعي الذاتي بصورته وهي علاقة جوهرية حيث يقول: « إنّ الوعي الذاتي ليس سجنا في داخل كيان بيولوجي وإنّما هو علاقة بآخر، لكن العلاقة لا تكون إلّا إذا كان الآخر هو أنا، كما أنّ العلاقة لا تكون إلّا إذا كان أنا هو الآخر»[3].

ويقول أيضا: « وقوله بأنّ الازدواج le doublement هو عنصر أساسي في تكوين الوعي الذاتي»[4]

نلاحظ أنّ إدراك كل ذات يكون متصّلا بالآخر، ومنفصلا عنه في آن واحد.

يقول الناقد محمد رجب: « أنا الآخر... و الآخر أنا»[5] ، ويقول أيضا: « أعي إدراك أن الأنا (يكون) آخرest un autrejeعلى حد تعبير رامبو »[6]

من خلال هذا القول نلاحظ أنّ العلاقة الموجودة بين الأنا والآخر متصّل بالأنا.

فالأنا بحاجة إلى الآخر لأنّها تجهل جانبا مهّما من حياتها النفسية (أي خبايا اللاشعور)، والوصول إلى مكامن النفس الخفّية، هذه يكون مستحيلا دون اللجوء إلى التحليل النفسي (الحاجة إلى الغير)[7].

[1] الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا، ص 22.
[2] المرجع نفسه، ص 22.
[3] محمد رجب: فلسفة المرأة، ص 203.
[4] المرجع نفسه، ص 203.
[5] المرجع نفسه، ص 203.
[6] المرجع نفسه، ص 203.
[7] المرجع نفسه، ص204.

ويعني هذا أنّ الأنا بحاجة إلى الآخر لمعرفة ذاتها و: « حيث تدرك الذات شيئا ما، فإنّها لا تستطيع أن تحيط به في كلية إلّا من خلال الآخرين...»[1].

يعني أنّ الآخر هو الركن الأساسي الذي يساعد الذات في إدراكها للأشياء، فالعلاقة هنا بين الأنا والآخر هي علاقة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها.

مما سبق نستنتج أنّ العلاقة بين الأنا والآخر غير ثابتة، ففي كل مرة تتغير وتتخّذ موقفا آخر على سبيل المثال تارة الاختلاف، وتارة الرفض له، وتارة أخرى الاحتكاك والتواصل من أجل الأخذ منه، والصراع من جهة أخرى.

رابعا: مواقف الأنا اتجاه الآخر

تعدّدت واختلفت العلاقات والرؤى بين (الأنا) و (الآخر) بين علاقات عدائية، انبهارية، حضارية...، ولكلٍ ورؤيته الخاصة اتجاه الآخر ومن هذه الرؤى:

1- الرؤية العدوانية:

تشكّلت الرؤية العدوانية من العلاقة الإستعمارية بين الأنا (العربي) و الآخر (الغربي)، وتشكّلت من خلال الصراع التاريخي والمستمّر حديثا.

وكانت علاقة الأنا بالآخر علاقة رفض وعداء« قد وجدنا من يدعو إلى نفي الغرب من حياتنا، ويرى الهوية العربية نقيضا للآخر، وبذلك يبدو خائفا متحصنا بها...»[2] ،وأيضا « يلجأ دفاعا عن هويته إلى وضع

[1] حسن شحاتة: الذات والآخرين الشرف والغرب صور ودلالات وإشكاليات، ص 20.

[2] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، ص 17.

الآخر في صورة نمطية، فغالبا ما تصبّ "الأنا" العربية الآخر الغربي سواء أكان منتميا إلى الحكومة أم الشعب في قالب العدّو الذي يعمل على مسح هوية الذات واقتلاع خصوصيتها»[1].

ومن هنا يتضّح أنّ الأنا تنظر نظرة رفض وعداء فهي تدعو إلى إقصاء الغرب من حياتنا، وتعتبر الهوية العربية نقيضا للآخر، فوضع الآخر في صورة نمطية دفاعا عن هويته، ممّا يعزّز نظرة العداء للآخر.

وشكل و طريقة دخول الحضارة الغربية (الآخر) على الحضارة العربية (الأنا)، « ممّا جعل هذه الأمم تنظر إلى رجال المدينة نظرا شزرا ولو أنّها دخلت بحسن التفاهم ولم ينظر الغربيون غلى غيرهم نظرة استعداء واستغلال لكان تقبل المدينة الحديثة أسهل وألطف»[2].

يتضّح من هذا أنّ النظرة العدائية بين الأنا والآخر لا زالت مستمرة والسبب الرئيسي هو دخول الحضارة الغربية على البلاد العربية مدخل حرب بجميع الوسائل ولم تدخل بحسن التفاهم والتصالح فيما بينها.

«وتختلف صورة " الآخر" في السلام عنها في الحرب أي أنّ " الآخر" تتحدّد صورته طبقا لعلاقته الإيجابية أو السّلبية بـ " الأنا" ولذلك قد تتشكّل صورة "الآخر" من عناصر تبدّل محاولات لتثبيتها في الأذهان....»[3].

ونقصد أنّ علاقة العرب بالغرب، كانت علاقة متوترة سلبية وذلك ناتج عن الحروب المتوالية.

2- الرؤية الإنبهارية:

شكّلت الحملة الفرنسية على مصر موقعا متميزا في الثقافتين العربية والغربية، بوصفها باللحظة التاريخية التأسيسية التي استيقظ فيها الشرق من سباق عميق، واعتبرت حملة نابليون أوّل محطة من المحطات التي انبهر فيها

[1] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، ص،17.

[2] أحمد أمين : الشرق والغرب، مؤسسة هنداوي، (د.ط)، (د.ب)،2017م، ص 13.

[3] عمرو عبد العلي: الأنا و الآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية) في الفكر الإسرائيلي المعاصر، ص 17.

الشرق بالغرب[1].

وهو ما زاد من إعجاب وانبهار العرب بالغرب(الحضارة الغربية) فمثال نجد (طه حسين) يمجّد الحملة الفرنسية ويصفها بالحملة المباركة كما اتّجه (الزيات) إلى الفكرة نفسها، حيث قال: « الجماعة العلمية التي صاحبت القائد العظيم نابليون هي التي قامت بغرس بذور الحضارة في مصر،وعليه فإنّ صنيع هذه الجماعة أشبه بالقبس الوضّاء سطح في ذلك الغيهب الذي احلولك في سماء مصر فبدّده »[2]

فالحملة الفرنسية كانت المركز والأساس الأول لانبهار العرب بالغرب، حيث« وجدنا من ينبهر بإنجازات الآخر، فيقلّدها إلى درجة فقدان هويته الخاصة ومسخها»[3].

ويعني هذا أنّ الأنامن شدة الإعجاب والانبهار اتجاه الآخر أصبحت تقلده تقليدا أعمى لدرجة فقدان شخصيته ومعالمها وحضارتها.

3- الرؤية الحضارية:

من خلال الرؤيتين السابقتين (الرؤية العدوانية، الرؤية الانبهارية)، يجب على الأنا الاحتكاك بالآخر والتعرف عليه، وبناء علاقات ودية إيجابية تخدم كطرف، فكان الوعي والفكر هو الأساس في بناء علاقات حضرية لأنّ مع مرورا لوقت، وكثرة الحروب الأزمات وتغير الحياة الاجتماعية، وجب على كل من (الأنا) و (الآخر) التفكير بجدّية وبصورة حضارية ،« لذلك بدأ المثقفون سواء أكانوا مفكرين أم روائيين، يرفضون قمع إرادة التغير وعرقلته ومحاولة اختراق الحواجز العقائدية والعرقية التي أقامتها " الأنا" لأن الذات الخائفة من الإمحاء، تزداد تقوقعا على نفسها، ورفضا للآخر، لكن المثقف الحقيقي يتجاوز هذه الرؤية المغلقة»[4].

[1] محمد سيد عبد التواب: بواكير الرواية العربية، الهيئة المصرية العام للكتاب، ، ط2، د.ب، 2017م، ص 27.
[2] المرجع نفسه، ص ص 27-28.
[3] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية)، ص 18.
[4] المرجع نفسه، ص 16.

وبذلك دعا المثقّفون إلى التحرر من الحواجز والعادات والتقاليد لتحرير الأنا الخائفة من فقدان هويتها وإمحائها من الوجود.

وفي ختام هذا الفصل نخلص إلى أنّ ثنائية " الأنا / الآخر" قد تولد عن صراع إما ديني أو سياسي ... مما أدّى إلى وجود تنافر فيما بينهما، لكن هذا لايمنع من وجود عوامل تساهم في قبول أحد الطرفين للطرف الآخر، ذلك أنّ المرء يولد بمفرده، ويموت بمفرده، ولكنّه لا يحيى إلّا مع الآخرين وللآخرين؛ لأنّ الأنا حين تحاول أن تشكّل صورة للآخر فهي تشكل صورة عن نفسها، أوّلا والعكس أي أنّ لا ذات بلا آخر، ولا آخر بلا ذات.

الفصل الثاني:

تمظهرات الأنا والآخر في

رواية "تلك المحبة"

أولا: ملخص الرواية

تدور أحداث رواية" تلك المحبة" حول التاريخ المنسي لصحراء الجزائر الشاسعة، خاصة التاريخ القديم لمدينة أدرار برمالها وقصورها وزوابعها، وجمال بيوتها، وتدور أحداث الرواية عامة حول وصف الكاتب لتلك الأماكن والجهات، تلك "الأرض المقدّسة" و"أرض الصلاة" ،وهي تحكي عن أوجاع الرجل.

وتستحضر الرواية صورة (المرأة العاشقة)، فالراوي يستعرض الأماكن التي تأخذ عقل الإنسان إلى عالم التأمّل والتخييل والزهد، كما ركّز على المعتقدات السائدة في تلك الأرض، وتصفف الرواية محاكم التفتيش الإسبانية، وكيف طرد الإسبان المسلمين من الأندلس، ولجوء المسلمين إلى بلاد المغرب ووصولهم إلى "تلمسان" واصفا تلك الفاجعة التي حلّت بالمسلمين واليهود على حد سواء، حيث لقوا شتّى أصناف العذاب، حين استوطنوا "تلمسان" ونجوا بحياتهم، بينما قرّر البعض المكوث بها، وقرّر البعض الآخر المغادرة إلى المدن القريبة ومنها أرض "توات" وبالضّبط "تمنطيط" .

ويصف الراوي تلك الألفة التي ربطت بين اليهود والعرب، وقرّر البعض الخروج عن تقاليد مدينة "توات"، حيث تكلّم عن العادات والتقاليد التي تحكم هذه المدينة وعن العلاقات الموجودة والمتكوّنة بين الرجل والمرأة.

ويسرد حكاية العبد "بليلو" الذي طرد من المدرسة في مدينة "بشار" وعاد إلى "توات" وصاحب أبناء الأسياد وشاركهم أسرارهم وأحوالهم.

وأراد الكاتب أن يساوي بين السادة والعبيد من الناحية الأخلاقية، وعن تخلّي الإنسان عن أخلاقه لا يهمّه من يكون وابن من؟ ، لقد قُدِّم "بليلو" كشخصية الناقم على المجتمع حتّى على أمّه التي ولدته.

ونقل الكاتب معاناة أهل "توات" ،كما أسقط كبرياء الملوك مع عبيدهم.

كما يصف الكاتب محاسن ومفاتن السيّدة "بتول"، والمكائد التي قامت بها "بنت كلو" "للبتول"، كما تحدّث عن مقتل "مكحول" بتدبير من "تبو ولد باري" لأنّه على صلة ب"البتول" التي اتهمّوها بأنّها قامت بإغراء "مكحول"، أن يخبر الرهطة التلّية معلومات كاذبة تمّس مصالح أهل "توات"، الذين اقتصّهم "تبو" بأنّ الفلاحة التقليدية وليدة زمانها ولا بد من مسايرة العصر.

وسرد الكاتب رحلة العبد "بليلو" في البحث عن حبيبته "ماريا"، تبدأمن "بوسعادة" إلى "الأغواط" إلى "المنيعة"، متحدّيا كل شيء، ولم يستطع أيّ رجل دين توقيفه أو صدّه رغم اختلاف المعتقد الديني بينه وبين "ماريا"، وكان سلاح "بليلو" هو الحب الذي لا يعترف بأيّ معتقد، يؤكّد الكاتب على تلك العلاقة المستحيلة التي كان يسعى إليها العبد متحدّيا كل معوقات الموروث الاجتماعي.

كما قدّم الكاتب شخصيتين هما "مبروكة" و"جبريل"، حيث تكلّم عن علاقة مبروكة بجبريل، ف"مبروكة" من أصول أوروبية متزوّجة بأصول عربية، حيث صوّر مدى تعلقها ب"جبريل" وكيف وصلت إليه، وكيف أغرته، كما صوّر كيفية تجسيد عقيدة كل دين عندما تكون العلاقة مستحيلة، ويصوّر كل شخصية بدينها، كما شخّص الحرب بين كل طرف أو فريق يدافع عن دينه، حيث تحولّت "مبروكة" إلى رمز للتضحية والدفاع عن وطنها ودينها.

وصف الكاتب "صليب"جبريل من خشب أما "هلال" فحارق من نار، يأكل هذا الصليب، وصوّر أهل الجنوب وثورتهم على الفاسدين وكشف دور عبادتهم بأنّها مركز للعمليات الإرهابية ضد أهل "توات" والجنوب، ووصف المقاومين وتحريضهم على الجهاد والاستشهاد في سبيل الوطن، حيث اكتشفت "مبروكة" الأصل العسكري ل"جبريل"، واكتشفت معه فظاعة القتل.

ثم يعاود الكاتب سرد قصة حب جديدة بين "باحيدة الطالب" و"جولييت" التى جاءت إلى الصحراء بعد قصةحب فاشلة مع ابن جنسها في "فرنسا" بعد محاولته لقتله، وهذا هو السبب الذي جعلها تبتعد عن ملذات الحياة، إلى حين مشاهدتها للطالب الذي أسرها بنظراته وأحبّته وأحبّها.

ويسرد قصة أهل توات والعلاقات القائمة بينهم، كما تحدّث الكاتب عن التفجيرات النووية التي نقلتها وسائل الإعلام عن تفجير "هيروشيما" و"ناكازاكي" في الحرب العالمية 2 وهي الجريمة التي ارتكبتها أمريكا في حق الشعب الياباني متنبّها إياها بما قامت به فرنسا في حق الشعب الجزائري.

وفي الأخير يعود الكاتب إلى الحديث عن أهل "توات"، وتلك العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة (بين البتول والدرويش...)، ويستدرك ويسترجع الأحداث والوقائع التي حدثت سابقا مثل الأعمال السّحرية التي قام بها اليهود، كما تكلّم عن كره البعض للبتول حسدا ونكاية فيها لأنّها كانت ذات شأن بين أهل توات.

ثانيا: تجليات الأنا في الرواية

إنّ الدراسة لمحتوى نص الرواية " تلك المحبة"، والبحث في مضامينها ومختلف صور الأنا وتجلياتها فيها، فيمكنه رصد تعدّد أوجهها واختلاف شخصياتها التي تتفاعل داخل هذا النص الروائي، فنجد منها: الأنا الصوفي، الأنا الصحراوي، الأنا العاشقة، الأنا المسلم.

أ- الأنا الصوفي:

يفتتح الكاتب هذه الرواية بفاتحة صوفية من خلال ما ورد في البيتين الشعريين للخيّام وكذا مقولة أبي الحيّان التوحيدي، التي استهّل بها روايته، ابتداء من العنوان " تلك المحبة" ففيها سمة صوفية (المحبة) وما يدور حولها من معاني ودلالات روحية (الحب، العشق، الوله، الوفاء، التعلق، التعبد،...).

ويستمر الكاتب (الحبيب السائح) في التأكيد على المنحنى الصوفي لنصّه الروائي من خلال مطلع الرواية، وهي عبارة عن بيتين شعريين للشاعر المعروف برباعيته الشهيرة (عمر الخيّام) وهما قوله:

يَا قَلْب كَمْ تَشْقَى بهَذَا الوُجُودْ وكُلُّ يَوْمْ لَكَ هَم جَدِيد

وَأَنْتَ يَا رُوحِي ماذا جَنَتْ نَفْسِيَ وأخِراك رحِيلٌ بعيدْ[1]

ففي البيتين إشارات صوفية واضحة (القلب، الشقاء، الوجود، الهم، الحياة، الروح، النفس، الآخرة (الدنيا)،الرحيل (الموت)).

[1] الحبيب السائح: رواية تلك المحبة، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ودار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2016، ص 7

وتلي البيتين مقولة للأديب والفيلسوف الروحي " أبو حيّان التوحيدي" التي يقول فيها: « إيّاك أن تعاف سماع هذه الأشياء الجارية على السخف، فإنك أو أضربت عنها جملة لنقص فهمك، وتبلد طبعك، ولا يفتق العقل شيء كتصفح أمور الدنيا، ومعرفة خيرها وشرها، وعلانيتها وسرها»[1].

وتتضّمن هذه المقولة إشارات صوفية فلسفية: (السماع، الفهم، الطبع، العقل، الدنيا، الخير، الشر، العلانية والسر).

وفي نص الرواية يقدّم الراوي مجموعة من المقاطع السردية ذات الدلالة الصوفية، حيث ابتدأ بالاستغفار، والاستعانة بالصالحين والأئّمة والأوتاد والأحكام الصوفية والزّهاد وطلب التوفيق من الله تعالى: « أستغفر الحقّ وأترجي الشفاعة من حبيبه وابتغي مرضاة الأقطاب والأئمة والأوتاد والحكماء والصالحين والصوفية والزهاد»[2].

وقال أيضا: «فإنّما أنا للخالق مذعن، وإلى الخالق مركن وبمرضاة الوالدين الشريفين، تمتد لي بساطا من العون أخضر ممعن»[3] .

فالراوي (الأنا) يستعين بعبارات ومفردات صوفية ذات دلالات روحانية (الاستغفار، الشفاعة، الرجاء).

وقال الراوي (الأنا) مخاطبا أدرار الصحراء: «أملك من سر الكهانة ما أسخّره لحمايتك من العين والنفث والعفاريت»[4].

ففي هذه العبارات (الملك، السر، الكهانات، التسخير، الحماية من العين والنفث و العفريت)، كلّها مفردات تعبّر عن الأنا الصوفية القادرة على حماية الأرض والوطن (أدرار).

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص9.
[2] المصدر نفسه، ص 11.
[3] المصدر نفسه، ص 11.
[4] المصدر نفسه، ص 21.

وقوله أيضا على لسان راوي مجهول في مدينة عن عشق الصحراء: « ومن زاعم أنّ عارفا، بمقام ولي، عشقها قبل أن يزهد، وكان امتحانه إلى المكاشفة أن ينتصر مع الشيطان لازمه المسير والنوم وأحدث في نفسه تخالجا لتلك المرأة مع الذكر فدعا ربّه أن ينزل في تجويف قلبه»[1]

فهذه المفردات (العرف، العشق، الزهد، المكاشفة، الانتصار، الشيطان،النوم، النفس، التخالج، الذكر، القلب)، توحي بالزهد وعدم التكلّف، ومعرفة الحلال من الحرام وما يعينه على طاعة الله فهو ضد نزوات النفس والحرص على الدنيا.

وقال الراوي: « كان شيخ (شروين)• أسدى إليّ النصح بأن أسمع وأبحّر وأسجع، ثم استغيث وأستحضر وأجمع»[2]

فهو يحكي عن شيخ شروين قدّم له النصح بالسماع والسجوع، والاستحضار، والإجماع، والاستغاثة.

وقوله أيضا: «كان ذلك الرجل الدرويش، الذي حارت في طبعه العقول يظهر بشرا سوّيا ويختفي ترابا رمليا»[3] فهذه المفردات: (الحيرة، الطبع، العقل، الظهور، البشر، الاختفاء، الجنية، السكون، الروح) كلها ذات دلالات وإيحاءات صوفية، تحمل ملامح عن صورة الأنا الراوي، رجل دين متصوف.

ب– الأنا الصحراوي النبيل:

تتضّح لنا صورة الأنا (ابن الصحراء) من خلال مفردات على البيئة، مثل مفردة "العرق": « وذاك عرق

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص17.

• شروين: منطقة في أدرار

[2] المصدر نفسه، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص 11.

من الرمل»[1] وأيضا: «ويختفي ترابا رمليا في العرق، »[2]وكذلك مفردة"الرمل":« ورجال الرمل»[3] . وأيضا « انتشر في الرمل والقفار»[4]، كما نجد مفردة " النخيل":« يخرج من بين النخيل فيطأ أرض القصر»[5]، وأيضا: « بين جنان النخيل»[6].

إنّ هذه العبارات تحيل إلى البيئة والمكان الصحراوي، الذي يتميز بالكثبان الرملية والنخيل...

من أبعاد وصفات شخصية (الأنا) الصحراوي أنّه في صورة (الفارس): « الفارس النبيل المتوج بالشهامة، يعرفه الغول والسعلاة والوحش والفلاة طوى في زوادة عشقه الفيافي وبخطوة بين (الهقار) وبين أدرار»[7].

ابن الصحراء يقدّم ويصوّر على أنّه فارس شجاع، نبيل، شهم، يعرف الصحراء وأسرارها.

ويقول أيضا: « الذي حارت في طبعه العقول يظهر بشرا سوّيا ويختفي ترابا رمليا»[8].

فالرجل الصحراوي من منظور الراوي (الأنا) يقوم بقدرات خارقة أدهشت العقول في ذلك مدح الأنا.

في هذه الصورة ملامح نرجسية (إعلاء الذات) وكنوفها على الآخر.

ومن الصفات التي تميّز الرجل الصحراوي نجد الشجاعة القوة، السلطة، الملك، وهي صفات توراثها عن أجداده وآبائه: «أنا الذي ملك أبائي عبيدا وإماء»[9].

---

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 11.
[2] المصدر نفسه، ص 11.
[3] المصدر نفسه، ص 11.
[4] المصدر نفسه، ص 17.
[5] المصدر نفسه، ص 16.
[6] المصدر نفسه، ص 17.
[7] المصدر نفسه، ص 13.
[8] المصدر نفسه، ص 11.
[1] المصدر نفسه، ص21.

فالأنا يجسّد في صورة السيد الحرّ، الشجاع، المحارب، القويّ، صاحب السلطة والملك، الذي تخضع له رقاب الشعوب و الأمم فيجعلهم عبيدا وإماء.

وقول الراوي (الأنا): « كان أجدادي أهل تجارة وسادة قوافل وسدنة سوق توات التي لم يكن بعدها سوق شمالا ولا جنوبا أبدعوا لها تراتيب عجيبة في البيع والمقايضة، حدثني آخرهم عن أبيه يذكر له عهد الربح والوفرة والنظام»[1].

كانوا أجداد (الرجل الصحراوي) (الأنا) أصحاب مال وشان وهمة في تجارتهم التي أبدعوا فيها من خلال البيع والربح والوفرة.

كما كان الأنا هو مؤسس المدن والحضائر البلدان: «عن أبائي الكرام أسّسوا لهذه البلدة الطيبة المواتية أركانها القائمة على الماء، وإنّ منهم من ينعتني بها لا يناسب مقاهي، فإنّي لست بهّاتا ولا دجّالا»[2].

فهو صاحب فكرة بناء المدن...، يعني أنّ أجداد وآباء (ابن الصحراء) كان لهم دور كبير وفضل عظيم في تأسيس هذه البلدة الطيّبة، لكن هناك من لم يعترف بفضله حتى نعتوه بأبشع الصفات (دجّالا).

ج- الأنا العاشقة للوطن :

أصبح حضور الجنس في الروايات المعاصرة ضرورة فنّية يستوجب على الروائي إدراجها ضمن عمله فهو إحدى تداعيات الكتابة الحداثية التي تثري النص الروائي، وهذا أمر منطقي خصوصا أنّه حاضر في حياة الإنسان.

وعلى هذا الأساس اعتمد الروائي " الحبيب السائح" على توظيف الإيحاءات الجنسية في متنه الروائي، ويتضّح ذلك من خلال شخوصها في علاقتها مع بعضها البعض، فظهرت الأنا بمظاهر مختلفة، مثل الأنا المحبة

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 22.
[2] المصدر نفسه، ص 23.

للوطن، حيث يقوم الراوي بتصوير جسد المرأة تصويرا مجازيا، ومن خلال المقاطع التي وردت في النص الروائي كقوله: « وإنّ عقلي لم يعد عامرا إلّا بصورة امرأة، هي أنت، لم أكن رأيتها من قبل، لم ترو لي الكتب التي قرأتها كما روت عنك»[1].

فيشبّه الكاتب الصحراء بالمرأة الجميلة، الفاتنة، وأنّ هذه المرأة الوطن أو المكان آو البيئة الصحراوية استحوذ على عقله بالكامل وذلك من خلال المحبة التي يكّنها لها.

ويخاطب الراوي هذه المرأة الفاتنة قائلا: « افتحي بوابات جسدي، علها بيديك المائيتين الدافئتين، وازرعي في قلبي بذرة ممّا علق الرجل الصالح تنمو عشبا أفرشة لقدميك إلى عين الحياة لتدخل في صمت الرمل»[2].

فهو يعبّر عن حبّه الشديد لهذه المرأة/ الوطن الصحراء من خلال تصوير حبه المرأة، التي أخذت كل عقله فأصبح عاشقا ولهانا: « وخطي بشفتيك على صدري صبر النخيل على الالتظاء فإنّي ماؤه، إنّي ترابك، إنك عصفت الرغبة وأنفاس الاشتهاء أقبض نفسي، فضمّيني واضغطي على صدري نهديك. أمحو من تذكاراتي كل أثر لكلمة منك بالهمس والحركة»[3].

وقول الراوي أيضا: « وأوشم سرّتك ببتلات وردة الرمال قبل تحجّرها وفي تجويفها أقطر من محبتك خمرة أسقي منها عليل الصحراء»[4].

فهو هنا يعبّر عن محبته من خلال الحاجات الجسدية إضافة إلى امتزاج روحه بالخمرة لكي يشفيه غليل الصحراء، فالراوي لا يصف الصحراء إلّا من خلال المرأة الفاتنة وتشبيهه بها من خلال عيونها وجسدها وقلبها

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 23.
[2] المصدر نفسه، ص 24.
[3] المصدر نفسه، ص 24.
[4] المصدر نفسه، ص 24.

فقال: « أرى في عينيك المشّعتين بالبهاء آية ضياعي إن قدري أسدل بيني وبينك حجاب المسافة فكنت نقطة هنا في مدينة الصمت، والصبر والاحمرار، ورحت أنا سرابا لك هناك في أفق البحر، تبحثين عني في ماء أحوالك»[1].

وقوله أيضا: «وألقاك هنا، مثل بسان، في جذع نخلة كلما عدت إليك من المهالك أرتضي أخطرها لأسكن قبلك الأخضر لو جمعت له لون نخيل جنان أبائي تحت شموس آذارما كانت له كفوة»[2].

فهو ضائع في عينيها المشّعتين بالصفاء والنقاء، إلّا أنّ قدره كان بعيدا عن المدينة، لذلك دائما يشبّه الصحراء بالمرأة الجميلة لشدّة حبه وتعلقه بها.

ويضيف قائلا: «وأن تكوني وحدك المرأة واهبة الحياة فيه الصحراء وباعته الغيرة في صدر النساء وناشرة الفتنة في دولة الأيام ومفتقة الغواية في قلوب الرجال، فإنّي الرجل أمنحك أن تتحسّسي وجودك في مشاعري وأن تتنفسي في صدري هواءك وأن تطلبي حياتك في دمي»[3].

فالصحراء هي المرأة التي تهب الحياة مثلما ترعى الأم أولادها كما تمثّل المرأة التي تبعث الغيرة في قلوب النساء وتنشر الفتنة بينهم، وتغوي الرجال، فهو يدعوها إلى الإحساس بمشاعره.

وقوله أيضا: « ترشفك من شفتيها المرطبتين ريعا من شهد مازجه ما حوته مسكرات الروح، فما لعينيك نظر بعد ولا تحديد، كأنك في قلب الغيبة وهدهدة السبات ونشوة التعليق»[4].

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 25.
[2] المصدر نفسه، ص 25.
[3] المصدر نفسه، ص 25.
[4] المصدر نفسه، ص 25.

فالراوي يصبّ عليها كل مواصفات المرأة الفاتنة من ملامحها الجسدية والمعنوية وغيرها من مواصفات المرأة.

وقال أيضا: « أسّر إليّ علي الشريف لما سألته عن كنة السيّدة، أناه مثل الصحراء لا يتقدم بها عمر، ولا تنالها شيخوخة، ولا يصيبها لوث، ملكتها الأرواح سر الشباب لا يزول إلا بيوم قبضها»[1]

فالصحراء المرأة تجسّد أبدية الحياة وذيمومته بالنسبة للأنا وفي خلودها للذات في مواجهة الموت والغزو و التلاشي فالمرأة مثل الصحراء تماما لا يتقدّم بها العمر فهي خالدة خلود الذات والهوية والوجود.

ويقول أيضا: « فضمّني إلى صدرك الزاخر بأحلام القمر، إنّي أتوق إلى البحر، وقبّلني بشفتيك المعسلتين برحيق الفجر، إن اللنج يتذكر ثغري وانتشر في جسدي عشقا مثل ظلّك الندّي على رملها (...) فإنّ أدرار لا تسكن قلبي، ها هي بعيدة عن أصابعي قابعة في كفك، فهي لي حنينا لا أنسى به إنّي كنت امرأتها وراسمني أثرا في مصنفك عنها وشما أكون حبره، وانعز بقلمك (...) وقل: (تلك المحبة)»[2].

يتبيّن من خلال هذه المقاطع أن الراوي يصف ويعبّر عن مدى حبه لهذه المدينة (أدرار) وعشقه لها ومدى تعلقّ بها وبكل تفاصيلها وأجزاءها وأماكنها ويحنّ إليها.

د- الأنا المسلم المسالم:

برزت الأنا في صورة المسلم المسالم في هذا العالم، من خلال اختلافه عن الآخر، وهذا ما يظهر في سلوكه وعاداته وتقاليده، وعلاقاته بالآخر، والتزامه بقيم وتعاليم دينه السامية.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 25.
[2] المصدر نفسه، ص ص 306-307.

ورد على لسان الراوي (الأنا): « الدّين المحمّدي روضة الإيمان وطريق المعرفة في العاجلة والنعيم في الأجلة»[1].

فالدين الإسلامي هو المقوّم الأساسي للأنا يعتمد على الجانب الروحاني في توجيه سلوك المسلم (الأنا) فهذا الأنا المسلم يحاول تطبيق تعاليم دينه من خلال الممارسة و الأداء،من أجل الفوز بالجنة والنعيم.

ومن الشخصيات التي تبرز لنا صورة الأنا المسلم في الرواية شخصية عثمان (بليلو) العربي: « هنا عاشت مسلمة وأحبّها الناس والمريدون»[2].

فهو يحكي لنا عن "ماريا" الرومية التي عاشت مع المسلمين فأحبّوها، رغم الاختلاف الثقافي والديني وهي من صفات المسلم أنّه محب مسالم.

ويقول الراوي على لسان " بليلو" (الأنا): «أنا أحبّ مثلما يحبّ كلّ مؤمن، أن أحب الله»[3]

فمن صفات المسلم الملتزم أنّه يحبّ الله، ويعمل ويجتهد على طاعته وعبادته ومثلما يحب لنفسه يحب لأخيه المؤمن كما يقول الراوي على لسان المهللين: « تزهو حمد الله الجميل الصلاة على نبيّه الحبيب»[4].

ويقول أيضا على لسان" بليلو" (الأنا) مخاطبا " ماريا" (الآخر):« آصلوا عليه حبيب مولانا الكريم»[5]

وهنا يبيّن لنا صورة وصفة الأنا المسلم فهو ممّن يحمدون ويشركون الله تعالى على كل شيء، ويصلّون على النبي صلى الله عليه وسلم.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 31.
[2] المصدر نفسه، ص 128.
[3] المصدر نفسه، ص 130-131.
[4] المصدر نفسه، ص 133.
[5] المصدر نفسه، ص 133.

ويقول الراوي على لسان " الطبيب" واصفا البتول(الأنا): « السيدة البتول امرأة نبيلة»[1].

فهو يصفها صفة النبل، وهي من صفات المسلم الملتزم المسامح الكريم، الصادق الأمين.

يقول الراوي على لسان " بليلو" (الأنا): «بذلت لهم من العون»[2]، ويقول أيضا: « ليهدوا الناس إلى السلم والتعاون»[3].

فهو يصوّر لنا صورة المسلم المسالم (الأنا) أنّ من صفاته السلم، التعاون والتآزر.

قالت" ماريا" (الآخر) مخاطبا "بليلو" (الأنا): « يسبّح لله ويحمده على نعمة الماء والتمر والقمح والشعير والمال والاستقلال»[4]

فهو يبيّن لنا أنّ صفة الأنا المسلم هي تسبيح لله وتعالى وشكره وحمده على النعم التي أعطاها إياها التي لا تعد ولا تحصى.

يقول الراوي: « معمورين بصوت صالح»[5]، ويقول أيضا: « وفي زواياه سمعت كأن الشيخ الصالح همس لي»[6]

– تتوضّح في هذين القولين أنّ من صفات وصور المسلم المسالم (الأنا) أنّه صالح، ذات أخلاق حسنة.

يقول الراوي (الأنا): «ثم ماتوا، كما يموت أسيادهم بعز ودفنوا بالمهابة»[7].

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 151.
[2] المصدر نفسه، ص 128.
[3] المصدر نفسه، ص 128.
[4] المصدر نفسه، ص 134.
[5] المصدر نفسه، ص 72.
[6] المصدر نفسه، ص 72.
[7] المصدر نفسه، ص 73.

يتضح لنا من خلال هذا القول أنّ المسلم له عزة نفس، ولا يقم الأنا بإذلال نفسه للآخر من أجل مصالحه، بل يموت عزيزا كريما، ويدفن عظيما.

يقول الراوي: « المؤرّخ تلزمه أخلاق العلم بأن يطلب الحقيقة حيثما وجدت وكيفما وصلت، متحريا الصدق كابحا العاطفة، مسترشدا بالعقل»[1]

من خلال هذا القول تتضّح لنا مجموعة من مميزات وصور الأنا الملتزم وهي الصدق، الخلق وعلى المسلم التحلي بالأخلاق الحميدة الحسنة، ويكون صادقا دائما.

ويقول الراوي (الأنا) على لسان جبريل (الآخر): « أنتم إذا صادقتم كنتم مخلصين فتفعلون بقلب»[2].

من صفات الأنا المسلم: الإخلاص الصدق، الوفاء، التسامح، المحبة...

ورغم الصعاب والظروف التي كانت محاطة بهم وكذا اختلاف المعتقدات والعادات مع الآخر، فهذا لم يمنعهم من تأدية واجباتهم وفرائضهم وقد برز ذلك في الرواية: « ويتظاهرون لهم بالولاء أو يرشونهم ليحيوا يوم الجمعة ويسّموا باسم الله حين يذبحون طيرا، أو حيوانا، وصاموا رمضان متخفّين»[3].

فالدين الإسلامي يدعو إلى إقامة الفرائض من صلاة وصوم وحج وغيرها، فالمسلم كان ملتزما ومقيّدا بقواعد دينه ولم يخرج عنه رغم الصراع والعذاب والطغيان الذي تعرض له من طرف الآخر.

[1] المصدر نفسه، ص 41.
[2] المصدر نفسه، ص 170.
[3] المصدر نفسه، ص 32.

ثالثا: تجليات الآخر في الرواية

تعدّ صورة "الآخر" من القضايا التي تناولتها الدراسات الأدبية المقارنة، وذلك أنّها عنصر فعال تكشف الموافق المتباينة مع "الأنا"، فرواية تلك المحبة، قد بيّنت ملامح الأنا بكل تجلياتها وأوصافها، كما أنّها لم تتوالى في إظهار" الآخر"بمختلف صوره، حيث يظهر بملامح وصفات عدة يجسدها خاصة شخصية الفرنسي، وشخصية اليهودي وشخصية المسيحي.

أ- الآخر الفرنسي:

حاول الكاتب "الحبيب السائح" من خلال دراسته رصد شخصية الآخر الفرنسي في صورة العدّو القاتل المجرم، الذي يتمادى في ممارساته الوحشية ضد الشعب الجزائري، والتي تجسّد لنا دناءته وانحطاطه، ونقل لنا أيضا صورة الآخر الذي يدمّر الحضارة والعمران.

1- صورة العدّو القاتل:

صوّر لنا "الحبيب السائح" في ورايةصورة العدو القاتل المجرم، القاسي، والمستعمر في حق "الأنا" الجزائري، ونلمس ذلك في المقطع الآتي: «فذبحوا الرجال والنساء والأطفال»[1].

فالراوي يبيّن لنا شدّة ظلم وقساوة ووحشية هذا الفرنسي المستعمر.

في موضع آخر يكشف لنا وحشيته من خلال قوله: « ينشرون الظلم والطغيان بالسّيف واللّسان»[2].

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 187.
[2] المصدر نفسه، ص 184.

فهو يصوّر لنا صورة الفرنسي الظالم والطاغي، الذي يحاول بشتى الطرق والوسائل محاربة أهالي الصحراء سواء بالشتم والسّب (اللّسان) أو بالسلاح (السيف).

وقوله أيضا: « عيّره الفرنسي بالعبد الحقير وبزق له في صحن طعامه»[1]

فهنا الراوي يحكي على لسان بليلو (الأنا) عن الفرنسي الحقير الظالم الذي طرده من مدرسة في مدينة " بشار" لأنّه ألحق الأذى بأحد أبناءه، فاعتدى عليه.

ويقول الراوي على لسان العجوز: « روت أنّ تلك الأميرة، خرجت في البياض وسط آثار حوافر خيل الغازين وبارود مدافعهم وكلوم سيوفهم وطعن حرابهم»[2].

فالراوي يصوّر لنا من خلال العجوز صور وصفات الآخر الغازي، الغادر، الخائن، المدمّر، الطاعن، الحقير.

ويقول أيضا على لسان العجوز التي تصف لنا العدوّ: «بكت تلك الأميرة لما رأت باشوات وأغوات وكبارا من العلية بالنياشين على صدورهم جنب القائد يستعرضون المقتولين من الأسرى، منهم من ربطت أرجلهم وأيديهم إلى الأعمدة، ومنهم من تدلّت أجسامهم من المشانق»[3].

يتبيّن لنا من خلال هذا القول صورة الآخر الفرنسي وفضاعته وشراسته في القتل والتعذيب، والطرف الجنبية التي عذبهم بها، فهو لم يترك لا نساء ولا رجال ولا أطفال إلّا وطبّق عليهم العذاب، القتل، الحرق والشنق.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 75.
[2] المصدر نفسه، ص 185.
[3] المصدر نفسه، ص 187.

إنّ تمظهر "الآخر العدو القاتل" في هذا المتن الروائي قد تجسّد أيضا في جماعة من الجنود الفرنسيين الذين هجموا عليهم في المغارات وخلّفوا من ورائهم خسائر بشرية وحيوانية ويتضح هذا المقطع في المتن الروائي: « كنت أرى في عمق الليل المقمر جنودنا أمام مدخل المغارة كالنمل يسعرون نارا من جهنّم ولم أعد أسمع سوى أنين رجال أخرس متقطعا ونواح نساء يمزّقه صراخ أطفال ودمدمة حيوانات وقضقضة صخور مصلية.وقفت بعد يوم فصدمتني الفظاعة: ثمانمائة روح كلها أحرقت بالنار حتى الأبقار تفحمت»[1].

هذه الحرب كلّفت الجزائر خسائر بشرية وحيوانية ضخمة من خلال صورة الآخر الفرنسي المدمّر، القاتل، الظالم، المعتدي والقاسي.

ويقول الراوي على لسان جبريل (الآخر): «جدّي مارسيل وقبله أبوه وقبلهما جدي الأول، الذي نزل فيه شاطئ بحر هذه الأرض، قتلوا وشردوا أناس آمنين في بلدهم تلك هي حقيقة الذنب»[2].

فالراوي يصف لنا من خلالشخصية جبريل (الآخر) صورة أجداده وأجداد أجداده المسيطرين على الجزائر، وقتلهم وتشريدهم للناس.

ومن الشخصيات الفرنسية التي وظفّها " الحبيب السائح" وجسدت لنا هذه الصورة العدائية شخصية القائد الفرنسي " أرنود" الظالم والقاتل، فيقول الراوي على لسانه مخاطب جنوده: « ائتوني بالرؤوس، لن أحاسب أحدا بغير الرؤوس»[3].

ويقول أيضا: « لن تلّطخ القذارة يديك أن أقدّم جنودك على تدنيس مزارات، أولئك الهمجيين ونبش مقابرهم

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 189.
[2] المصدر نفسه، ص 193.
[3] المصدر نفسه،ص 186.

وهتك بعض أعراضهم ونهب ممتلكاتهم وتخريب بيوتهم»[1].

فالراوي يصوّر لنا صورة الآخر الفرنسي ونظرته للأنا العربي من خلال تصويرهم على أنّهم همجيين مخربين، ومن هذا المنطلق قام الفرنسي بهتك أعراضهم، ونهب ممتلكاتهم وتخريب بيوتهم ويقول أيضا الراوي على لسان مبروكة التي تصف وحشية القائد " أرنود"(الآخر): «راحت تجمع له ملامح من وجه مخلوق وحشي يرتدي حلّة إنسان ليس له قلب ينبض بدم البشر»[2].

ومن صفات الآخر الفرنسي أنّه مخلوق وحشي، ظالم، عديم القلب، الفاقد للإنسانية والرحمة، متوحش متعطش للدماء.

ويقول أيضا الراوي على لسان القائد " أرنود" (الآخر): « اسحقوهم ! فعوى الموت من آلات عسكره النارية، خضب أطفال ونساء وشيوخ وعجائز الرمل بدمهم»[3].

من صفات الآخر الفرنسي أيضا أنّه مجرم،غير مسالم معذب، الذي يحمل مشاعر الحقد والكراهية للأنا الجزائرية. ويقول الراوي عن الخطط التي قام بها الكولونيل "القائد أرنود"(الآخر) في مدينة سعيدة، مرسلا إليهم طائرة لقتلهم جميعا « فأرسلت عليهم نيرانها فقتلت منهم ثلاثة قبل أن يصيبوها»[4] إشارة إلى الآخر الفرنسي القاتل، الحاقد، الظالم، على (الأنا الجزائري)، ويبيّن ويصوّر بشاعته ووحشيته في القتل والحرب.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة ص 186.
[2] المصدر نفسه، ص 190.
[3] المصدر نفسه، ص 166.
[4] المصدر نفسه، ص 255.

2- صورة الآخر المدمّر للحضارات والعمران:

صوّر لنا "الحبيب السائح" في روايته "تلك المحبة" الآخر المدمّر للحضارات والأبنية والديار والحدائق، ونلمس ذلك في المقطع الآتي: « روت العجوز أنّ جدّها حدّثها أن الكفار لما دخلوا وهران وجدوها مدينة عامرة بالديار والحدائق، والمساجد والقصور، كلها ذات عمارة بديعة وزخرفة زاخرة بالنعمة فأعملوا فيها الخراب فصارت حطاما وأطلالا مثل يوم زلزالها الذي حلّ لعنة على الإسبان قبل مائة وخمسين عاما ليجليهم عنها»[1]

فمدينة وهران قبل الاحتلال كانت مدينة عامرة بالحدائق والقصور والديار والمساجد، لكن بعد دخول المستعمر الكافر اليهودي الظالم، الغادر إليها، أحدث فيها الدمار والخراب، فصارت حطامات.

ويقول الراوي على لسان القائد " أرنود" (الآخر): « أحرقهم في كهوفهم فتقدّم الجنود من فم المغارة وأمطروها بارودا»[2].

فالقائد " أرنود" يأمر جنوده بحرق وتدمير الطرف الآخر وهم في كهوفهم، فأطلقوا عليهم البارود لقتلهم.

يقول الراوي: « الأعداء زاحفون عليكم من منطقة البيض عبر العرق في أربعمائة من الركاب والمشاة، ومن أمامكم في ستمائة من القوم وعسكر سليقان، تحسبهم سراب(...) فتساقطت على رؤوسهم أتربة حطامات ممّا هدّه انفجار قذيفة المدفع»[3].

فالراوي يتحدث عن العدوّ المدمّر الذي حطّم ودمّر المدينة فأصبحت وصارت حطاما.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 186.
[2] المصدر نفسه، ص 189.
[3] المصدر نفسه، ص 169.

ب– الآخر اليهودي الغادر:

في مقابل الأنا المسلم نجد " الآخر" اليهودي الذي يمثّل حياة أخرى وثقافة مغايرة عن " الأنا" في الدين والهوية والتاريخ، والعادات والتقاليد.

من صفات اليهودي (الآخر): الظلم، الغدر، الخيانة، الجبن يقول الراوي على لسان جد " محمد":« أنا جدك الذي وش به مرتّد يهودي فشنقت وأحرقت»[1].

نفهم من هذا أنّ صورة الآخر اليهودي تجلّى في الخيانة والغدر والطعن في الظهر، الظلم...

كما ترد في هذه الرواية قصة صلاة اليهودي الجنب كإمام لحين من الزمن، وقد جاء في الرواية: « وقصّ عليّ أن أحد الذميّين وصلت به الجرأة أن نصب نفسه إماما في أحد القصور وصلّى بالمسلمين نجسا ردحا بالعمد والنكاية»[2].

إشارة إلى أنّ الآخر اليهودي صلى بالمسلمين من دون طهارة، أي أنّه كان خبيث، غادر، خائن، كاذب في تصرفاته وأفعاله.

يقول الراوي على لسان "أرنود" (الآخر): « كنت أرى هؤلاء اليهود يركعون ليلثموا أقدام جنودي وأيديهم، ثم يروحون منهالين بالضرب على من صادفوه من الأتراك»[3].

من خلال هذا يتضّح أنّ صورة الآخر اليهودي تتميز بالفظاعة والبشاعة، وكان ظالم، وخائن...

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 33.
[2] المصدر نفسه، ص 46.
[3] المصدر نفسه، ص 188.

ج- الآخر المسيحي الانتهازي:

يتمثل الآخر المسيحي في الرواية في صورة الرجل الانتهازي، المنافق الذي يوظّف الدين لأغراض شخصية، وهذا السبب جعل البعض يتهموه بالكفر وإشعال نار الفتنة وتشتيت شمل المسيحيين.فيقول الراوي عن شخصية البابا(الآخر): « وأنّه جاهر معهم بأنّ البابا لا يمتلك أي تفويض إلهي وإنما يحوّل دين الله إليه ليفعل به ما تأمر به نزواته. وبأنّ تلك المجسمات التي تملأ الكنائس ليست سو لعب لا تستهوي الصبيان، فاتّهموه بالكفر وأدانوه بإشعال نار الفتنة وإحداث صدع في وحدة الصليب وتشتيت شمل المسيحين»[1].

ويقول عن عقاب البابا من طرف المسيحيين: « ثم نفّذوا فيه حكما بالشنق والحرق وصادروا ممتلكاته، وحرموا ذريته من كل ما يتمتع به مسيحي، ونبشوا قبر أبويه وأضرموا النار في رفاتها تطهيرا لهما من نجاسة مروة خلفهما»[2].

فكان عقاب (الباب) بالشنق والحرق، وتجريد كل أولاده من الحقوق التي يتمتع بها كل مسيحي.

ويقول الراوي أيضا واصفا النصارى المسيحيين الانتهازيين (الآخر): «أتعقب بك تلك الطريق التي سلكها إلينا أولئك النصارى، من وهران(...) ليحطوا الرجال في تمنطيط (...) منتحلين الإسلام مستغلّين كرمنا وسماحتنا مشهرّين مرّة تلك الأسلحة المروّعة التي تنفث النار والموت محترفين حصون قلاع رباطنا، فتزيل آثار الألم الذي خلّفوه في قلوب أمهاتنا»[3].

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 32.
[2] المصدر نفسه، ص 32.
[3] المصدر نفسه، ص 22.

فالراوي يصف كيف انتحل المسيحيون مظاهر وصفات المسلمين عن طريق استغلال كرامة الأهالي المسلمين المسالمين وإشهار الأسلحة المخيفة في وجوههم من خلال رمي النار والموت في بلادهم فخلفوا آلاما وأوجاعا في قلوب الأمهات، وتظهر صورة المسيحي المنافق من خلال شخصية العبد المسيحي مصطفى.

يقول الراوي عن صورة العبد الذي سمّي باسم عربي مسلم (مصطفى): « أحكي لك عن واحد منهم تسمى بمصطفى وانتسب إلى الأصل الشريف من بعد ما اندس على صاحب العرش في مراكش فأوصى له على ختم منه، بمكرمة عندنا واستجارة، كشفت أمره عبدة وسيمة كانت في يمين جدي كلفّها أن تفتنه وتستهويه فتستدرجه إلى أن نثبت بيدها من نصرانيته لما وجدته غير مختون، فما كانت لتشفع له عند قومي حكمته الطبّية عرض خدمتهم عليهم، ولا التزامه بدخوله الإسلام»[1].

فالراوي يصف ذلك العبد الذي انتسب إلى الأصل الشريف، ولكنّه لم يلتزم بدخوله الإسلام.

ويقول العبد (مصطفى) مؤكدّا جوابه: «كان في استجوابه يرّد بكثير من التبصير بأمورنا على أسئلة العلماء اجتمعوا لمحاكمته لولا لكنته كانت تفضحه بين حين وحين وكان على القاضي أن يعاني بنفسه فطلب أن يعرى الكافر قبل أن يجذع على نخلة مطرافة ويقتل صبرا فتأكل من دماغه الطيور ويفترس دود النخل بشرته تشبه اليقطين المطبوخ»[2].

من هذا القول يؤّكد مصطفى جوابه أنّ عند استجوابه بقي ينظر على أسئلة العلماء الذين اجتمعوا على محاكمته فكانت الطريقة التي ينطق بها تفضحه بين حين لآخر، فالقاضي طبق عليه حكم العرى قبل ربطه في

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 23.
[2] المصدر نفسه، ص 23.

النخلة ليقتل وتأكله الطيور والديدان وهي من صفات الآخر المسيحي، (القتل، التعذيب) ويقول الراوي على لسان باحيدة (الأنا) الذي وصف النصراني (الآخر): « فقتل النفس وأحرق البنت وخرّب البنيان»[1].

– تتجلى صفات المسيحي الانتهازي في القتل والتخريب والإجرام.

رابعا: العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية:

تميزت العلاقة بين المسلمين واليهود بنوع من التوتر والمشاحنة تمظهر هذا التوتر في أوّله في حركات الاستعمار، وتتجلى هذه العلاقة في شكل تمظهرات مختلفة كالتسامح والتعاون، والتآزر مرة، واالكراهية، والصراع، العداوة، مرة أخرى، هذا يحلينا إلى وجود صور معقدة عن العلاقة مع الآخر، فإمّا أن يكون الآخر صديقا أو عدّوا، وقد عمدت رواية " تلك المحبة" إلى رصد رؤى تلك العلاقة، كما قدمت لنا أشكالا متعددة عن العلاقة التي جمعت الأنا المسلم بالآخر الغربي (الفرنسي، المسيحي، اليهودي)، ويمكن رصد علاقة الأنا بالآخر في الرواية على النحو الآتي:

أ– علاقة صراع:

إنّ علاقة الأنا بالآخر تحتّم على كل منهما محاولة إقصاء الآخر وإنكار حقّه في الوجود، فكان وجودها يجبر إقصاء الآخر، إذ أنّهما يحملان قيما متعاكسة لا توجد أيّ نقطة التقاء بينهما وهذا ما يؤدي إلى انعدام الثقة فيتولّد الشعور بالعداوة.

فتتشكّل رؤية الآخر للأنا في حالة اللقاء السّلبي من خلال الإعلاء من شأن الآخر، وتهميش الأنا وتحفيزه والإنقاص من قيمته باعتبار أن الآخر عدّو مباشر، وأحد أسباب مأساة الأنا فتسيطر على الآخر مشاعر التفوق على الأنا وهذا غالبا ما ينتج عنه علاقات عدائية مع الآخر مما يؤدي إلى تشكّل صورة سلبية عن الآخر.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 184.

تتجلّى علاقات الصراع في عدة مشاهد ومقاطع سردية في الرواية، وهي كثيرة، ومن أمثلتها: حين دعا" محمد التلمساني" الرجل المسلم علانية إلى الجهاد ضد الكفار: « فدعا في العلانية إلى الجهاد لإخراج الكفرة من أرض الإسلام كما أخرجوه هو وأهله»[1].

فالأنا المسلم يحاول إخراج الكفار من أرض المسلمين، فالأنا تحاول تحصين نفسها من طغيان الآخر، فالصراع هو سبب الوجود وشرطه وقانونه، فبدون صراع (جهاد وقتال) لا وجود للأنا.

ومن المعروف أنّ علاقة الأنا بالآخر علاقة قديمة تشكلت مع ظهور الإسلام وبشكل واضح اتخذّ الغرب موقف العداء منه، فتظهر طبيعة هذه العلاقة في مظاهر الخوف والصراع والعداء جاء على لسان الفتى محمد أنّه تمثل أباه ناجيا فقال: « لم أكن قادرا على أن أهمس أن الدين المحمّدي روضة الإيمان وطريق المعرفة في العاجلة والنعيم في الآجلة أو أن أجهر بأن نبيّنا هو الخاتم كملت الرسالات به ووضع القلم في الجنة أو أستغفر الله إلا في قلبي خشية أن يرى قفاة من اليهود المرتدّين على شفتي أثرا من ذلك»[2].

فالمسلم لم يكن قادرا على التصريح والتعبير والفصح عن الدين الإسلامي، أو الجهر بالنبّي عليه أفضل الصلاة والسلام كما يخاف من الآخر بقوله أنّه مسلم.

الأنا والآخر عندما يعيشان على أرض واحدة غالبا ما يحدث توتر بينهما خاصة إذا حمل كل طرف ثقافة مغايرة عن الآخر، وبهذا يوضعان أمام معادلة السيد والعبد.

فيتخّذ الصراع مظاهر عدة في الرواية:

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 35.
[2] المصدر نفسه، ص 31.

« غير أنهم لم يصدّقوا أنّه يكتب رسائل "لماريا" ولا أن رومية مثلها تخبّئ عندها ما يكتبه واحد مثله فقد تجرأ أحدهم ونعته بالكذّاب لأنّه لا يستطيع أن يبلغ إصبع قدم جيدة من بنات سيدّاته فكيف له بنصرانية فرد بابتسامة أشعت من حوله ثقة بالنفس أغضبت محدّثه»[1].

رغم اختلاف العلاقات بين السيّد والعبد لا يمنع ذلك من التواصل بينهما وإقامة العلاقة مع بعضهما فعلاقة بليلو (الأنا) مع ماريا (الآخر) كانت علاقة اختلاف في الديانة .

ويقول الراوي على لسان " محمد التلمساني" مؤكّدا العلاقة بين الأنا والآخر: « أنظر هؤلاء الأطفال والنساء والعجزة في الساحة إنّما حشرهم أبناء إيزابيلا ليخيّروهم بين الكفر لمحمدّيتهم علنا والتثليث ولبس الصلبان وبين الشنق والحرق»[2].

من هذا القول تتضّح لنا العلاقة بين (الأنا المسلم) و (الآخر المسيحي) في الصراع وذلك لاختلاف ديانتهم فالآخر يخيّر الأنا (المسلم) بين الكفر للدين المحمّدي، و التثليث والدخول في الدين المسيحي، أو الشنق والحرق.

ويقول الراوي أيضا على لسان إحدى الراهبات: « يتشابه علي بفتى فارس يقال له حسن قطع الموج من بلاد الأندلس إلى مراكش ثم ركب البحر فأسرته النصارى وردّته إلى دينها فما نام إلا وقف عليه أبواه فذكّراه بالشهادة»[3].

يبرز لنا هذا القول أنّ الآخر (المسيحي) يجبر " محمد التلمساني" (الأنا) على الدخول إلى دنيها النصراني حتى أنها ردّته إلى دينها ولكنّه عندما نام ذكّراه أبواه بالشهادة فتنتج عنها علاقة صراع واختلاف في الديانة، فكل طرف يؤكد أنّ دينه هو دين حق.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 75.
[2] المصدر نفسه، ص 33.
[3] المصدر نفسه، ص 43.

ويقول الراوي أيضا على لسان إحدى الراهبات: « من حقّنا أن نتشكك في تعميده، ومن واجب الكنيسة إن مات أن تتحفظ على دفنه في المربع المسيحي»[1].

فالراوي يصف لنا العلاقة بين الأنا والآخر التي تظهر في شكّ المسيحيين بأنّ واحد منهم ارتّد على دينهم وأصبح يميل إلى الأنا المسلم وذلك لتأثّره بالمسلمين وبلادهم.

وقال الراوي على لسان " عثمان" هو يحكى " لبليلو" (الأنا) أنّه« نفاه النصارى إلى بلادهم عقابا له على حلف جهاد كان له مع الشيخ بوعمامة»[2] .

فالراوي يروي كيف نفى النصارى " عثمان" إلى بلادهم عقابا له للجهاد الذي كان له مع الشيخ بوعمامة فنتجت عنها علاقة صراع.

محاكم التفتيش: صورة بشعة عن ظلم المسيحي

تعّد محاكم التفتيش التي أقامها المسيحيون في الأندلس بعد الإنتصار على المسلمين وإخراجهم منها، من أبرز التجليات: القهر والظلم والوحشية التي تجسّد صورة الآخر المسيحي في الرواية.

ومن أمثلة ذلك قول الراوي: « فإنّهم قتلوا من أنكروا من ملّتنا أن يكون المسيح إلها، وأحرقوا الذين أقرّوا أن مكة بيت الله»[3].

فهو يبيّن صورة المسيحي الظالم، الذي يأمر بالحرق والتعذيب كل من يقول أنّ المسيح ليس إله و أنّ مكة بيت الله.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 199.
[2] المصدر نفسه، ص 126.
[3] المصدر نفسه، ص 31.

وقال الراوي على لسان باحيدة: « في تلك الأثناء كان في الأندلس آلاف ممن سمّتهم الكنيسة مورسكيّين يلقون على يد شرطة دواوين محاكم التفتيش التنكيل والشنق والحرق والنفي في السفن للتجديف في المحيطات المظلمة تحيا في أجسامهم الحشرات تفترسهم الجرذان البحرية كانت وحشية أشد فظاعة»[1].

تتمثّل صورة الآخر المسيحي في الظلم والشنق والحرق والنفي والطغيان التي طبقّته محاكم التفتيش ضدّ المسلمين الذين بقوا في الأندلس تحت الحكم المسيحي بعد سقوط الحكم الإسلامي للأندلس، وأجبروا على اعتناق المسيحية.

يقول الراوي على لسان " باحيدة" الذي روى "للبتول"قائلا: « روى من سمع عن أحد أحفاد التلمساني بعض سيرته في ما لحق باليهود على يده أن أحد الناجيين من دواوين محاكم التفتيش»[2].

فهو يبيّن لنا كيف كانت محاكم التفتيش تعذّب المسلمين واليهود وتطردهم وتقتلهم، حتى هربوا فرّا إلى شمال إفريقيا أي في الجزائر فانتشروا في المدن القريبة من تلمسان حتى بلغوا أرض توات فكانت معظم أرض توات يهود.

ب– علاقة تسامح:

تنبع علاقة التسامح من الرؤية المتوازنة للأنا والآخر، فلا الأنا تخضع للآخر وتقدّسه، ولا الآخر يرفض الأنا ويهمّشها، فالموقف هنا موقف وسط لا هذا و لا ذاك، حيث ترسم الأنا صورة موضوعية عن الآخر، فتغلب على نظرتها طابع التسامح والمحبة فلا تنحرف ولا تبالغ في موقفها من الآخر، فهي تعلم بأنّ وجودها يعني وجوده ووجوده يعني وجودها.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص 41.
[2] المصدر نفسه، ص31.

وينفتح مجال الحوار بينهما ليستفيد منه في مختلف مجالات الحياة، وهذا ناتج عن الاحترام المتبادل بينهما وعن الحوار في الأداء والأفكار من أجل جلب الخير للإنسانية.

وتتجسّد علاقة التسامح في الرواية من خلال علاقة أهل (أدرار) المسلمين مع المسيحيين ممثّلين في شخصية (جبريل): « كان أهل أدرار لا يكّنون لجبريل عداء- ولا يذكرون أباه بسوء، تحدّثوا عن شخص طيّب اسمه جوزيف وينادوه يوسف، ويأكل طعامهم، ويخدمهم بنصائح لصحتهم، مقدّما لهم الكنينة وبعض المراهم، لا يتخّلف عنهم في تويزات تنظيف الفقرات وتزريب الجنانات، ولا في مواسم جني ثمورهم »[1].

من هنا تبيّن لنا بأنّ العلاقة بين (الأنا) و(الآخر) علاقة تسامح فقد سادت المحبّة والتعاون والتآلف بين القلوب، وأصبح التعايش مع الآخر تعايشا سليما، فالتسامح يعني قبول الآخر في الماضي أو الحاضر، مادامت النيّة في التصالح معه موجودة.

فالمسلمون لا يكنّون لجبريل (الآخر) أيّ عداوة، ولا يتحدّثون عن أبيه بسوء فهو يعرف لغتهم ويعيش معهم، كما يعيش البسطاء، حتى أنّه كان يقدّم لهم يد العون سواء بالأدوية أو بالنصائح.

كما تتجلّى صورة التسامح في الرواية في شخصية زوجها (جبريل) المسيحي مع الأهالي المسلمين: « كانت زوجته أكثر منه ارتباطا بينهم، عاشت لا تنفّك تردد لهم أنّها من الفرنسيين الأحرار. كان يبهجها أن تلبس ألبستهم في أيام أفراحهم، وأن تطلي الحنّاء، وتتسّوك وتكحّل حتى لتكاد تشابه على كثير منهم، لولا بشرتها الشقراء »[2].

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص171.

[2] المصدر نفسه، ص171.

فالآخر يأخذ ثقافة الأنا من عادات وتقاليد ولباس ويقبلها كما هي، فزوجة أب جبريل (الآخر) كانت تحّب لباس المسلمين والتزيّن مثلهم، حتى التشبّه بهم، من شدّة ارتباطهم، إذ أن علاقتها معهم علاقة احترام.

وتجسّد علاقة التسامح بين الأنا (الأهالي) والآخر (اليهودي) في شخصية (القوّال) مع شخصية (اليهودي): « سيدي ابن سيدي، أنا في حماك وحاجتي إليك من المأمول (...) لم أذنب في حقكم (...) برب موسى ومحمد أتشفّعك»[1].

و« قال القوال: خفّف عنك ذلك بالشهادة (...) فقام بوجه متهلّل وقبّل يده وولاه »[2].

نلاحظ من خلال هذا القول أنّ القوال (الأنا) طلب من اليهود (الآخر) الدخول في الدين الإسلامي عن طريق ذكر الشهادة فركعوا واستسلموا ، وقاموا بالاستغفار وطلب السماح، فنتجت عنهما علاقة تسامح ومغفرة ورضا بينهما.

وتتجسّد أيضا علاقة التسامح في الرواية بين الآخر (اليهودي) في شخصية (بنت هندل) والأنا (المسلم) في شخصية (البتول): « سيّدتي تعرفني من أحفاد يهود لم يلّطخ لهم بنان بدم مسلم، فجدّتي كانت تحدثني أن أهلي ممّن عرفوا الله في هذه البلاد عرفوا للمسلمين حرمة وحفظ لهم المسلمون ذمة، فما أكرهوا على عقيدة ولا هم بها جاوزوا حدود دينهم، وأوصتني أن أذكر أنّ من دفع عن أحد أجدادي سيف ثورة محمد التلمساني كان فقيها، فلولاه لانقطع لنا نسل وذكر، ونصحت لي أن أكون من شئت إلّا أن أخون عقيدتي أو أغدر بمن استجارني »[3].

من هنا يتبيّن لنا أنّ (الآخر اليهودي) يحترم ديانة المسلمين (الأنا)، ويحترمها حتى أنّه بقي محافظا على عقيدته، ويتبيّن لنا أيضا أنّ (الأنا) و(الآخر) تربطهما صلة أو علاقة احترام فكل طرف يحترم ديانة وثقافة الآخر.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص296.
[2] المصدر نفسه، ص296.
[3] المصدر نفسه، ص 30-31.

ويقول الراوي أيضا واصفا العلاقة بين(الأنا) و(الآخر) من خلال تذكّر "مبروكة" (الأنا) لحديث "جبريل" (الآخر): « نحن إذا صاحبنا كنّا أوفياء فنفعل ذلك بعقل، وأنتم إذا صادقتهم كنتهم مخلصين فتفعلون بقلب »[1].

من هذا القول يتضّح لنا أنّ العلاقة بين (الأنا) (والآخر) علاقة محبّة وتسامح، ووفاء، وصدق وإخلاص، ف(الآخر) إذا صاحب كان وفيّ (للأنا)، أمّا (الأنا) فهو إذا صادق كان مخلص (للآخر) ويفعله بقلبه على عكس الآخر الذي يفعله بعقله.

إنّ وجود (الأنا) ضروري بالنسبة (للآخر) والعكس فوجود (الآخر) أيضا ضروري بالنسبة (للأنا) لكي تنتج علاقة حوار وتسامح واحترام بينهما، وقد ورد في الرواية ذلك الحوار الذي دار بين "بليلو" المسلم (الأنا)، و"جبريل" المسيحي (الآخر): « فقد جلس بليلو على الحصير قبالة المكتبة الصغيرة المصفوفة بعناية واطمئنان، وقدّم لجبريل شكرا، على خجل، فقال له وهو يجلس قدامه: مثلك لا يبدو عليه عوز (...) فاعتذر له، وقال: ما جئتك من أجله لا علاقة له بالحقّ، فلاطفه: وأنت ظريف أيضا، وهذه خصلة يمتاز بها الجيّدون »[2].

ويقول الراوي أيضا على لسان "مبروكة" المسلمة (الأنا) التي كانت تحكي على لسان زوجة "جبريل" المسيحي (الآخر): « إنّها لم تستطع إقناعهم بأنّ في النصارى عروقا للشرف والنبل وفي رجال دينهم أولياء وصالحين مثلهم »[3].

فقد حاولت إقناع أهل أدرار وإعطائه صورة طيبة وحسنة عن أخلاق بعض النصارى من خلال الإدّعاء بأنّ منهم أناسا شرفاء نبلاء وصالحين.

[1] الحبيب السائح: تلك المحبة، ص170.
[2] المصدر نفسه، ص135.
[3] المصدر نفسه، ص171.

نستخلص أنّ الأنا قد تجسدّت بصورة متعددة منها: الأنا الصحراوي، الأنا العاشقة للوطن، الأنا المسلم المحافظ على هويته ومعتقداته وعاداته وتقاليده.

وفي المقابل نجد الآخر المعادي أحيانا أو المتسامح للأنا المسلم أحيانا أخرى، ففي صورة الآخر المعادي للذات توظّف الشخصيات وسيلة الحرب النفسية والعقائدية لتحقير معتقدات الأنا المسلم من بينها العدوان اللفظي والجسدي، لكنّه قوبل بمقاومة الأنا وتمسّكه بهويتها والحفاظ على مقوماتها.

خاتمـــة

ختاما وبعد رحلة شاقة وشيّقة مع موضوع هذا البحث نصل إلى رصد أهمّ النتائج والإستنتاجات التي أفضت إليها رحلة البحث:

- إنّ مصطلحي "الأنا" و"الآخر" هما من المفاهيم الشائكة على الباحث نظرا لتشعّبهما وتفاوت مفهومهما، فقد شكلت أهم القضايا التي عالجتها العلوم الإنسانية الحديثة.

- تعدّد الآراء والأفكار بين الفلاسفة والمفكرين في تحديد مفهوم موّحد "للأنا" و"الآخر".

- إنّ العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" نتجت بسبب الإختلاف الديني والعقائدي والفكري بين المجتمعات.

- رغم وجود تناقض وتعارض بين "الأنا" والآخر" إلّا أنّهما متكاملان بحيث كل طرف يستدعي وجود الطرف الثاني.

- إنّ إشكالية الأنا والآخر مسألة حساسة إذ ظلّ سؤال العلاقة التي تجمع بين الطرفين مطروحا على مرّ العصور، فتنوّعت العلاقة بينهما بين تسامح حينا، وصراع حينا آخر، اختلاف وتعارف، ولكنّها في النهاية تظل تلازمية، ولا وجود "للآخر" دون "أنا" وهما وجهان لعملة واحدة.

- استطاعت الرواية إخراج "الأنا" و"الآخر" من قالبها النظري إلى حيّز الوجود الفعلي والواقعي من خلال نسيجها وشخصياتها وأحداثها، حيث رسمت شخصية "الأنا" وشخصية "الآخر"، وبذلك ألقت الرواية جمالية فنية على الموضوع وأصبح أكثر ملامسة للواقع، كما قرّبتها من القارئ ليتلقّاها بشكل فني ويتفاعل مع حداثياتها.

- تعدّ رواية "تلك المحبة" (للحبيب السائح) من الروايات القليلة التي ناقشت "الأنا" و"الآخر" عبر فضاء الصحراء.

- تعتبر هذه الرواية حلقة مهّمة من حلقات التجارب الروائية الجزائرية الجديدة لما حملته من تقنيات كتابية جديدة في هذا المجال.

- كان للراوي في هذه الرواية نظرة عميقة في تحديد صورة "الأنا" والآخر" بشكل متوازن ومحايد.

- اعتمد "الحبيب السائح" في سرد الصورة المعبّرة عن هذه الإشكالية بأسلوب سهل ممتنع.

- جسّدت رواية "تلك المحبة" الأنا عامة بالذات الجزائرية والآخر بالغربي المسيحي واليهودي والفرنسي المحتل.

- يتعدّد الآخر في هذه الرواية ويتغير فهو لا يحمل صورة ثابتة.

- تقديم صورة الآخر اليهودي في هذه الرواية كشخص منافق، غادر، ظالم تاريخيا في أغلب أطوار الرواية.

- اتخّذ الآخر أحيانا كثيرة في هذه الرواية صورة إيجابية وتمثّلت في ذلك الإنسان المتسامح والمدافع عن الذات المسلمة.

الملاحـــق

الملحق

1- التعريف بالروائي "الحبيب السائح"

هو كاتب روائي جزائري، خريج جامعة وهران: ليسانس آداب 1980م، دراسات عليا ما بعد التدرج، اشتغل بالتدريس، أستاذ سابق في المعاهد التكنولوجية، أستاذ سابق مشارك في معهد اللغة الفرنسية/مركز سعيدي الجامعي، ساهم في الصحافة الجزائرية والعربية، تحصّل على جائزة الرواية الجزائرية عام 2003م، غادر الجزائر سنة 1994م متجّها نحو تونس حيث أقام بها نصف سنة قبل أن يشدّ الرحال نحو المغرب الأقصى، ثم عاد بعد ذلك إلى الجزائر ليتفرغ للإبداع الأدبي.

2- أهم أعماله

المجموعات القصصية

- القرار 1979م.
- الصعود نحو الأسفل 1981م.
- الموت بالتقسيط 2003م.
- البهيّة تتزيّن لجلادّها 2000م.

الروايات

- زمن النمرود 1985م.
- ذلك الحنين 1997م.

- تماسخت 2002م.
- مذنبون لون دمعهم في كفّي 2009م.
- الزهوة 2011م.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- المصادر

1. الحبيب السائح: تلك المحبة، دار فضاءات للنشر والتوزيع ودار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2016م.

2-المراجع

الكتب بالعربية:

1. أحمد أمين: الشرق والغرب، مؤسسة هنداوي، د.ط، د.ب، 2017م.
2. أحمد ياسين سليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان، ط1، سوريا، 2009م.
3. بول ريكور: حاتم الورفلي: الهوية والسرد، دار التنوير، د.ط، تونس، 2009م.
4. حسن شحاتة: الذات والآخر بين الشرق والغرب، صور ودلالات، د.ط، د.ب، د.س.
5. رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط1، عمان، 2015م.
6. سعد البازغي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2008م.
7. سعد البازغي: مقاربة الآخر مقاربات أدبية، دار الشروق، ط1، مصر، 1999م.
8. سعد البازغي،ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002م.
9. سلمى بوغازي: أصول فلسفة سارتر، مكتبة المجتمع العربي، ط1، عمان، 2016م.
10. سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، د.ط، لبنان، 1971م.
11. صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية) المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003م.

12. الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، دراسات الوحدة، ط1، لبنان، 1999م.

13. عبد المقصود عبد الكريم: جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي، دار المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، د.ب، 1999م.

14. عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائلية) في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم، ط1، مصر، 2005م.

15. ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 2013م.

16. محمد رضا زائري: الذات والغير بين المفهوم الكلي والمفاهيم الفرعية، الاستغراب،د.ط، د.ب، 2018م.

17. محمد سيد عبد التواب: بواكير الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2،د.ب، 2017م.

18. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، لبنان، 2002م.

19. محمد فتحي فرج الزليتيني: أساليب التنشأة الاجتماعية الأسرية ودوافع الإنجاز الدراسية، دار قباء الحديثة، د.ط،د.ب، 2008م.

20. محمد نور الدين أفاية: الغرب في المتخيل العربي، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، د.ب، 1996م.

21. محمود رجب: فلسفة المرأة،دار المعارف، ط1، مصر، 1994م.

22. مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، د.ط، د.ب، د.س.

23. مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، د.ط، مصر، 1959م.

24. ميخائيل إبراهيم سعد: شخصيتي كيف أعرّفها؟، دار الآفاق الجديدة، ط3، لبنان،1987م.

25. نجيب بلدي، ديكارت، دار المعارف، ط2، مصر، د.س.

4-الكتب المترجمة:

1. آلان تورين: نقد الحداثة، تر: عبد السلام الطويل، إفريقيا الشرق، د.ط، المغرب، 2010م.
2. جان بول سارتر: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الآداب، ط1ن لبنان، 1966م.
3. راينر فونك: الأنا والنحن التحليل النفسي للإنسان ما بعد الحداثة، تر: حميد لشهب، مكتبة الفكر الجديد، جداول للنشر، ط1، لبنان، 2016م.
4. ماري مادلين دافي: معرفة الذات، تر: نسيم نصر، منشورات عويدات، ط3، لبنان، 1983م.
5. وينفرد هوبر: مدخل إلى سيكولوجية الشخصية، تر: مصطفى عشوي، ديوان المطبوعات الجامعية،د.ط، بلجيكا، 1995م.

5-المعاجم

1. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية،التعاضدية للعمالية للطباعة والنشر، د.ط، تونس، د.س.
2. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط تح: مجمع اللغة العربية، د.ط، مصر، د.س.
3. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، المجلد الأول، ط4، لبنان، 2007م.
4. أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، د.ط، مصر، 2009م.
5. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، عالم الكتب، ط1، مصر، 2008م.
6. جان لابلانس، جان برتراندبونتالي: معجم مصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى حجازي، مركز دراسات للوحدة العربية، ط1، لبنان، 2011م.

7. جبور عبد النور: المعجم الأدبي: دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 1979م.

8. جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب،د.ط، تونس،د.س.

9. جميل صلبيا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، 1982م.

10. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، المجلد 1، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2003م.

11. صبحي حموي وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مر: مأمون الحموي وآخرون، دار المشرق، ط2، لبنان، 2001م.

12. فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، ط8، لبنان، 2000م.

13. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، د.ط، مصر، 2008م.

14. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1999م.

15. محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، د.ط، د.ب، 2003م.

16. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، د.ط، مصر، 2007م.

17. مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دارأسامة، ط1، الأردن، 2009م.

18. المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2009م.

19. يوسف خياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، د.ط، لبنان، د.س.

7- الموسوعات

1. عبد الرحمان البدوي: موسوعة الفلسفة، نقلا عن هيدجر، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 1984م.

2. كميل الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان، 2000م.

6-المذكرات

1. بريزة سواعدية: الأنا والآخر في مسرحيات سناء الشعلان، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014م، 2015م.

2. عبد العزيز حنان: نمط التفكير وعلاقته بتقدير الذات، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2011م، 2012م.

7- المجلات

1. حسينة لصقع: مفهوم الذات وعلاقته بتصورات الأمومة لدى الفتاة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، ع7، جانفي 2017م.

2. طارق زياد محمد: تعدد مفهوم الآخر في الدراسات الثقافية، مجلة قضايا الأدب، جامعة البويرة، المجلد 5، العدد 2، 2020م.

3. عبد القادر شرشار: كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الخلدونية، العدد التجريبي،تلمسان، 2005م.

الملخص

الملخص

تعتبر إشكالية الأنا والآخر من الإشكاليات المعقّدة والمتشعّبة التي لقيت زخما واسعا في العديد من الدراسات والأبحاث الفكرية والنقدية في العلوم الإنسانية وقد درسنا في هذا البحث صورة الأنا والآخر في رواية – تلك المحبة– "للحبيب السائح" من خلال عرض طبيعة العلاقة بين طرفي هذه الثنائية في مجتمع عربي محافظ تجسدّه شخصيات متعددة: الصوفي، الصحراوي، العاشقة للوطن، وشخصية الآخر اليهودي والمسيحي والفرنسي.

فثنائية الأنا والآخر من القضايا التي فرضت نفسها على الساحة الأدبية والفكرية والفلسفية والنفسية والاجتماعية، وجاءت الرواية باعتبارها أكثر الفنون الأدبية الحديثة المؤمّلة للتعبير عن مثل هذه القضايا المتعلقة في صراعها الدائم من أجل البقاء والاستمرار ومقاومة الذوبان والتلاشي.

الكلمات المفتاحية:

الأنا/ الآخر/ الصراع/ الهوية/ التاريخ/ التسامح/ التعايش/ الحياة/ الموت/ الثقافة/ الدين.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–د
الفصل الأول: الأنا مقابل الآخر	
أولا: مفهوم الأنا	21–6
أ– لغة	9–6
ب– اصطلاحا	21–9
– من المنظور الفلسفي	13–9
– من المنظور الأدبي	14–13
– من المنظور النفسي	18–15
– من المنظور الاجتماعي	21–18
ثانيا: مفهوم الآخر	32–21
أ– لغة	24–22
ب– اصطلاحا	32–24
– من المنظور الفلسفي	28–25
– من المنظور الثقافي	30–28
– من المنظور الاجتماعي	32–31
ثالثا: العلاقة بين الأنا والآخر	36–32
رابعا: مواقف الأنا اتجاه الآخر	39–36
1– الرؤية العدوانية	37–36

2- الرؤية الإنبهارية	**38-37**
3- الرؤية الحضارية	**39-38**
الفصل الثاني: تمظهرات الأنا والآخر في رواية "تلك المحبة "للحبيب السائح	
أولا: ملخص الرواية	**43-41**
ثانيا: تجليات الأنا في الرواية	**54-44**
أ- الأنا الصوفي	**46-44**
ب- الأنا الصحراوي النبيل	**48-46**
ج- الأنا العاشقة للوطن	**51-48**
د- الأنا المسلم المسالم	**54-51**
ثالثا: تجليات الآخر في الرواية	**63-55**
أ- الآخر الفرنسي	**59-55**
- صورة العدّو القاتل	**58-55**
- صورة الآخر المدمّر للحضارة والعمران	**59**
ب- الآخر اليهودي الغادر	**60**
ج- الآخر المسيحي الإنتهازي	**63-61**
رابعا: العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية	**71-63**
أ- علاقة صراع	**67-63**
ب- علاقة تسامح	**71-67**
خاتمة	**74-73**

ملحق	**77–76**
قائمة المصادر والمراجع	**83–79**
فهرس المحتويات	
ملخص	